وزارة الثقافة
2024

صوت الجيل 23

العدد23من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

سجناء وراء قضبان افتراضية
جلال برجس

أدب الشباب في عجلون
د.سلطان الزغول

أدب الشباب ورهانات التغيير
أ.د. عماد الضمور

أدب الشباب العربي في باريس
آمال الصالحي

جيلان يتحاوران على طاولة صوت الجيل .. سحر ملص وحنين رياض

نصائح "ريلكه" إلى المبدعين الشباب
موسى أبو رياش

للفنانة بيان تركية/ سوريا

Sawtalgeel
صوت الجيل
23

العدد 23 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
تيسير الشماسين
علي شنينات
جعفر العقيلي

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

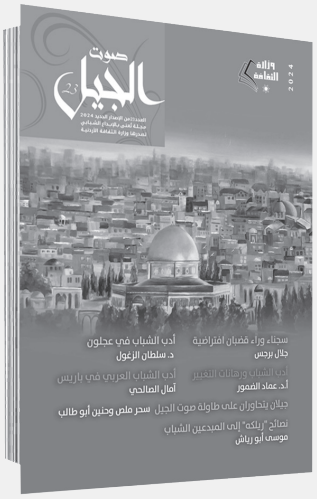

غلاف العدد
لوحة الغلاف للفنانة: تسنيم السيد/ الأردن

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18–35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة
E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تُعبرّ عن آراء كُتّابها
ولا تُعبرّ بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة
www.culture.gov.jo

العنوان البريدي
الأردن - عمان - ص.ب 6140
الرمز البريدي 11118 عمّان

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتويات

عتبة
- سُجناءُ وراءَ قضبانٍ افتراضيّةٍ .... جلال برجس 4

البوابة الرقمية
المفهومُ الأخلاقيُّ في ضوء التكنولوجيا........................ علي شنينات 7

مصفوفة العدد
- أدبُ الشّبابِ في عجلون رؤيةٌ من مناطق وعي عالية .... إعداد: الدكتور سلطان الزغول 14
- الأدباءُ الشّبابُ في عجلون .... الدكتور سلطان الزغول 15
- طريقُ النّحلِ في عجلون .... الدكتورة شذى غرايبة 18
- تساؤلاتٌ ومحاولاتٌ للإجابة .... الدكتور عبد الرحمن القضاة 21
- عجلون.. سويسرا الشرق .... ميساء المومني 24
- من مقبرةِ الوهادنةِ إلى العالَم .... عامر الشقيري 27
- عجلون.. عنجرة حيثُ يلتقي الأدبُ بالتراث والطبيعة .... الدكتور بشار الزغول 29
- عجلونُ مُلهِـمةُ الإبداع.. تجربتي نموذجًا .... الدكتورة سامرة أحمد المومني 32

ملتقى الأجيال
- سحر ملص وحنين رياض كاتبتان على طاولة (صوت الجيل) .... حاورتها: حنين رياض 37

ورد بلدي
- جسدٌ خشَّنَتْهُ سجونُ المواعيدِ .... محمد المتيم 44
- بحرُ إسكندرية .... إسراء النمر 46
- يطولُ انتظاري .... فاطمة الشريف 47
- حكاياتُ نادلٍ جيّد .... روند كفارنة 48
- على وسادة .... فاطمة محمد الهلالات 50

العدد 23 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

23

2024

contents

ورد بلدي

- ريتا .... تغريد أبو شاور 52
- طقسٌ شرقيٌّ .... سامي الخليفات 55
- نصّان .... راما الرجبي 57
- سجينُ الصَّوت .... هشام أزكيض 59
- ستَّ عشرةَ قضيةً .... هدى لؤي 60

خرائط البوح

- خلفَ مِدْفَعِ الرّعب .... الدكتور علي الخرشة 64

المختبر

- أدبُ الشّبابِ ورهاناتُ التغيير .... أ. د. عماد الضمور 70
- من جذورِ الملولِ إلى أركانِ المدن .... رنا غريزات 73
- نصائحُ (ريلكه) إلى المبدعين الشّباب .... موسى إبراهيم أبو رياش 75
- قائدُ الأملِ والتّحديات .... آمنة الدقامسة 78
- إنسانيّةُ القيادةِ في مواجهةِ الأزمات .... ثائر الملكاوي 81

مراسيل

- أدبُ الشّبابِ العربيّ في باريس .... آمال صالحي 86

نقوش

- نهرُ الزّرقاء .... بيان أيمن صوفان 91

عتبة

سُجناءُ وراءَ قضبانٍ افتراضيّةٍ

جلال برجس

حينَ ازداد عددُ الغرف في البيوت، اتّسعَتْ رقعةُ خصوصيّة الفرد، لكن في المقابل تراجعت الحميميّةُ، ففراش النوم الجماعيّ – خاصةً في القرى – بألفته وحكاياته التي تُروى بفطريّةٍ عاليةٍ، اختفى لصالح الأَسِرَّةِ صاحبة الطقس الفرديّ.

ليس للأمر هنا علاقةٌ بالحنين إلى الماضي – الذي أؤمن أنَّ الاستغراق فيه كثيرًا، دليلٌ على فشل الخطوات نحو المستقبل – بل بالتبدّلات السريعة التي أخذت بضراوةٍ تستأصل لذائذَ إنسانيّةً لم نكن لننتبهَ إليها لولا صدى فقدها ونحن نستشعره في هذه الأيام. لقد احتلّت الفرديّةُ بنسبةٍ كبيرةٍ مساحةً كانت تشغلها الروح الجماعيّة في العيش، والسعي إليه، وباتت الحياةُ أكثرَ خشيةً حينما يتأمّلها الإنسان في لحظة صفاء خارجة عن الصّخب.

تبدّلت الحياةُ وسبلُها بشكل سريع جدًّا، وهذا خلق العديد من الأسئلة نحو المصير الإنسانيّ، فلا بدّ لأيّ أحدٍ منّا إن توقّف عند الإشارة الضوئيّة، أن يجدَ كثيرًا من سائقي السيّارات يستثمرون ذلك الوقت القصير بالتحديق في هواتفهم النقّالة، بل حتى سنلاحظ بعضهم أثناء القيادة يفعلون ذلك، وسنجد أنَّ هناك الكثير ينزوون صامتين في منازلهم بمعيّة هواتفهم، يُصوّبون أعينهم نحو الشاشات، وهم في حالة من السكون الجسديّ الغريب.

سنراهم في الاجتماعات العائليّة التي يقتصر الحديث فيها على تحيّات سريعة، أمّا باقي الوقت فيمضون في تحديقٍ لا ينقطع في عوالم (السوشال ميديا)، تحديق مستمرّ في كثير من الأماكن، والمواقف، والمناسبات، حتى في أَسِرَّة النوم، مشهد غرائبي، ستزداد غرائبيّته مع مرور الوقت، بل كان يمكن اعتباره فنتازيًّا لو نظرنا إليه من خلال وعي ما قبل حقبة الثمانينيّات.

لم تقتصر هذه الحالة المريبة على الذين لا يُتقنون كيفيّة إدارة وقتهم، أو على الذين لا وسائل لديهم لملء أوقات الفراغ فقط، بل امتدّت إلى بعض الكُتّاب الذين فقد الكثير منهم قدرته على القراءة والكتابة؛ جرّاء الأثر السلبيّ لتكنولوجيا الاتصالات. انشغال إجباريّ لا نتائجَ تُرجى منه سوى تبديد الوقت، الذي يصيب الإنسان بشكل من اللوم الذاتيّ، وصراع يتفاقم إلى حدّ من الشعور بالخسارة.

ما الذي حدث حتى صار لا يتحرّك من الناس وهم ينظرون في هواتفهم النقّالة واللوحيّة إلّا الإبهام؟! وفي نهاية الأمر، إن كان هناك بحث عن نتائج ما، يُفاجَؤون بالنتيجة صفر، الأمر الذي يُشير إلى عبوديّة جديدة، وسجن بقضبان افتراضيّة، بات الخروج منها أمرًا صعبًا، حالة يرى علم النفس أنَّها مرض يستوجب علاجًا سلوكيًّا.

لقد ابتكر الإنسانُ منذ بدء الخليقة وسائلَه لتصبح الحياة أكثر سهولة، لكنّه ما كان يدري أنَّ هذه السلسلة من المحاولات الغريزيّة لهزيمة الشقاء، وتقريب المسافة بينه وبين الراحة، قد تفضي إلى شقاء آخر، حين تصبح لبعض تلك الابتكارات فوّهة تردي الإنسانيّة في مقتل، إذ نجح في إيجاد ما يُحقّق له العيش واللذة بكلّ مستوياتها، وتقصير المسافات عبر وسائط مثلما امتدحها، وقف في ما بعد قبالتها مصابًا بالخشية على المصير الآدميّ، بعد أن أفضت التراتبيّة الزمنيّة عبر العصور إلى ما هو منطقيّ ومقبول في ما يسعى إليه.

لكنّنا في هذا القرن نشهد تجاوزًا لحاجة الإنسان من الاختراعات التي بطبيعة الحال تحمل في باطنها تهديدًا صريحًا للسلوك الآدميّ، وما جاء هذا التهديد إلّا عندما تراجعت ثقافة الإنتاج أمام ثقافة الاستهلاك، عبر سعي حثيث منظّم لتشييء الإنسان، وتفريغه من مضامين واجباته الآدميّة. يحتاج الإنسان للعلم ولمزيد من الابتكارات لتصبح الحياة أكثر سهولة، لكنّه يحتاج إلى إنسانيّته التي كانت مُتحقّقةً في ما مضى بشكل أكثر وضوحًا ممّا هي عليه الآن.

لكلّ خطوةٍ إلى الأمام ضريبة ما يمكن استيعابها، لكن من الكارثيّ أن تُرافقَ الخطوةَ في طريق التقدّم العلميّ هاويةٌ تستلزم منّا تسلّقَ أطرافِها لنعود إلى الطريق. هنا تدفعني الأحداث المتسارعة، والتبدّلات المريبة إلى الالتفات نحو إرث الفيلسوف الفرنسيّ (موريس ميرلو بونتي)، الذي يرى في مطامح العلم جانبًا كبيرًا من تهديد الإنسانية، عبر إيمانه بـ(الفلسفة الفينومينولوجية)، التي ترى في العودة إلى الطبيعة والأشياء الأولى حلًّا لما يُقاسيه الإنسان من آثار سلبية للعلم وابتكاراته.

وبكلّ تأكيدٍ سيبدو هذا الطرحُ مثاليًّا وغيرَ منطقيّ للإنسان الذي تسير معظم شؤون حياته بضغطة من إصبعه على شاشة هاتفه النقّال أو اللوحيّ، لكن كيف لنا أن نُغادر هذا السجن الافتراضيّ الذي دفع بنا إلى عزلة قاسية مقابل وهج جماعيّ وهميّ، سجن قتلَ الروحَ الجماعيّة لصالح الفرديّة، وعقف يد الإنتاج ليُطلق يد الاستهلاك، خنق النَّفَسَ الطويلَ لصالح الأشياء القصيرة، وأغرق العميق لصالح السطحيّ، وأقصى الروحَ النقديّةَ الجدليّةَ، ليُحِلَّ محلَّها قبول الأوهام على أنَّها حقائق.

لقد دفع العلمُ الإنسانَ إلى فضاءاتٍ جعلته حضاريًّا أكثرَ من ذي قبل، لكن لا يخلو هذا العلمُ من الطامحين بالثراء على حساب المصير الإنسانيّ، عبر رؤية نفعيّة لا عواطفَ ولا رؤى حضاريّة فيها، صحيحٌ أنَّ العلم جعل ملمسَ حياتنا أكثرَ نعومةً، لكنّنا نريد الإنسانيّة حتى لو بخشونتها.

البوابة
الرقمية

المفهومُ الأخلاقيُّ في ضوء التكنولوجيا

علي شنينات

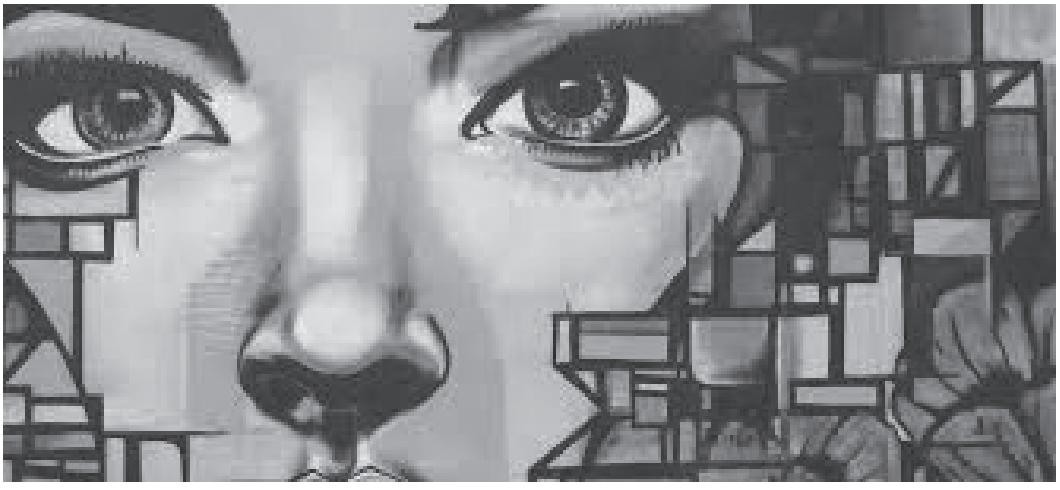

المفهومُ الأخلاقيُّ في ضوء التكنولوجيا

علي شنينات

هل تُحدِث المبادئُ التوجيهيّةُ الأخلاقيّةُ تغييرًا في عمليّة صنع القرار الفرديّ، بغض النظر عن السياق الاجتماعيّ الأكبر؟ ففي دراسةٍ حديثةٍ قام الباحثون بمراجعة نقديّة لفكرة أنَّ المبادئ التوجيهيّة الأخلاقيّة تعملُ كأساسٍ لاتّخاذ القرارات الأخلاقيّة لمهندسي البرمجيّات، كانت النتيجةُ الرئيسيّةُ التي توصّلوا إليها، هي أنَّ فعاليّة المبادئ التوجيهيّة أو القواعد الأخلاقيّة تكاد تكون معدومةً، وأنّها لا تُغيّر سلوك المهنيّين من مجتمع التكنولوجيا.

في الاستطلاع تمَّ فحصُ (63) طالبًا من طلاب هندسة البرمجيّات، و(105) من مُطوّري البرمجيّات المحترفين، عُرِضَ عليهم أحدَ عشرَ سيناريو للقرار الأخلاقيّ المتعلّق بالبرمجيّات؛ لاختبار ما إذا كان تأثير المبادئ التوجيهيّة الأخلاقيّة يؤثّر في الواقع على اتّخاذ القرار الأخلاقيّ في ستة أسئلة قصيرة، بدءًا من المسؤوليّة إلى التقرير، وجمع بيانات المستخدم، والملكيّة الفكريّة، وجودة الكود، والصدق مع العميل، والوقت، وإدارة شؤون الموظّفين.

كانت النتائجُ مُخيّبةً للآمال، حيث لم يتمّ العثور على اختلاف ذي دلالة إحصائيّة في الإجابات لأيّ من الأسئلة بين الأفراد الذين اطّلعوا على مُدوّنة الأخلاقيّات، سواء للطلاب أو للمحترفين، وبغض النظر عن مثل هذه الاعتبارات على المستوى الاجتماعيّ الجزئيّ، يمكن أيضًا تفسير عدم الفعاليّة النسبيّة للأخلاق على المستوى الاجتماعيّ الكلّيّ.

هناك عددٌ لا يحصى من الشركات حريصةٌ على تحقيق الدخل من الذكاء الاصطناعيّ في مجموعة كبيرة ومتنوعة من التطبيقات. إنَّ هذا السعي لتحقيق الاستخدام المربح لأنظمة التعلّم الآليّ، لا يتمّ تأطيره في المقام الأول من خلال الأخلاقيّات القائمة على القيمة أو المبدأ، ولكن من الواضح أنّه من خلال المنطق الاقتصاديّ، لا يتمّ تعليم المهندسين والمُطوّرين بشكل منهجيّ حول القضايا الأخلاقيّة، ولا يتمّ تمكينهم.

في سياقات الأعمال السرعة هي كلّ شيء في كثير من الحالات، وتخطّي الاعتبارات الأخلاقيّة يعادل المسار الأقلّ مقاومة، وبالتالي، فإنَّ ممارسة تطوير وتنفيذ واستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعيّ، لا علاقة لها في كثير من الأحيان بالقيم والمبادئ التي تفترضها الأخلاق.

ذكر عالم الاجتماع الألمانيّ (أولريش بيك) ذات مرة: إنَّ الأخلاق في الوقت الحاضر تلعب دور كوابح درّاجة هوائيّة على متن طائرة عابرة للقارّات، تُثبت هذه العبارة صحّتها بشكل خاصّ في سياق الذكاء الاصطناعيّ، حيث يتمّ استثمار مبالغ ضخمة من المال في التطوير والاستخدام التجاريّ للأنظمة القائمة على التعلّم الآليّ، في حين تستخدم الاعتبارات الأخلاقيّة بشكل أساسيّ لأغراض العلاقات العامة.

في تقرير الذكاء الاصطناعيّ لعام 2017، ذكرت (كيت كروفورد) وفريقها: إنَّ الأخلاقيّات تواجه تحدّيات حقيقيّة، ويرجع ذلك أساسًا إلى حقيقة أنَّ الأخلاقيّات ليس لديها آليّات إنفاذ تتجاوز التعاون الطوعيّ وغير الملزم بين العلماء

والأفراد العاملين في مجال البحث والصناعة. إذن ما يحدث هو أنَّ البحث والتطوير في مجال الذكاء الاصطناعيّ يتمّان في صالات صناعة مغلقة، حيث غالبًا ما يتمّ التغاضي عن موافقة المستخدم والخصوصيّة والشفافيّة، لصالح وظائف خالية من الاحتكاك، تدعم نماذج الأعمال التي يُحرّكها الربح.

وعلى الرغم من هذا التوزيع للمبادئ الأخلاقيّة، تُستخدم أنظمة الذكاء الاصطناعيّ في مجالات ذات أهميّة مجتمعيّة عالية، مثل الصحة، أو الشرطة، أو التنقّل، أو التعليم. في تقرير الذكاء الاصطناعيّ لعام 2018، تكرّر أنَّ صناعة الذكاء الاصطناعيّ تحتاج بشكل عاجل إلى أساليب جديدة للحوكمة؛ لأنَّ هياكل الإدارة الداخليّة في معظم شركات التكنولوجيا تفشل في ضمان المساءلة عن أنظمة الذكاء الاصطناعيّ، وبالتالي غالبًا ما تندرج المبادئ التوجيهيّة الأخلاقيّة ضمن فئة «ثق بنا»، وهي غير مُلزمة للشركات، لذا يجب على الأشخاص أن يكونوا حذرين من الاعتماد على الشركات لتنفيذ الممارسات الأخلاقيّة.

يمكن تفسير التوتّر بين المبادئ الأخلاقيّة والمصالح المجتمعيّة الأوسع من ناحية، وأهداف البحث والصناعة والأعمال من ناحية أخرى، من خلال اللجوء إلى النظريات الاجتماعيّة، وعلى أساس نظرية النظام على وجه الخصوص، يمكن إثبات أنَّ المجتمعات الحديثة تختلف في أنظمتها الاجتماعيّة، حيث يعمل كلّ منها برموز ووسائل اتصال خاصة به.

يمكن أن تؤدّي أدوات الاقتران الهيكليّة إلى اتخاذ القرارات في نظام اجتماعيّ واحد؛ للتأثير على الأنظمة الاجتماعيّة الأخرى، ومع ذلك، فإنَّ مثل هذه الاقترانات محدودة، ولا تُغيّر الاستقلاليّة الشاملة للأنظمة الاجتماعيّة، هذه الاستقلاليّة التي يجب أن تُفهم على أنّها توجّه وظيفيّ حصريّ تجاه رموز النظام الخاصة، تتجلّى أيضًا في صناعة الذكاء الاصطناعيّ والأعمال التجاريّة والعلوم.

كلّ هذه الأنظمة لها قواعدها الخاصة، وقيمها المستهدفة، وأنواعها الخاصة، من رأس المال الاقتصاديّ أو الرمزيّ الذي يتمّ من خلاله تنظيمها، وبناءً عليه فإنَّ عملية التدخّل الأخلاقيّ في تلك الأنظمة ممكنة إلى حدّ محدود للغاية.

يوجد بعض التردّد تجاه كلّ نوع من التّدخّلات، طالما أنّها تقع خارج نطاق القوانين الوظيفيّة للأنظمة المَعنيّة، وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ السلوك غير الأخلاقيّ أو النوايا غير الأخلاقيّة لا تنتج فقط عن الحوافز الاقتصاديّة، بل تلعب سماتُ الشخصيّة الفرديّة – مثل التطوّر الأخلاقيّ المعرفيّ،

أو المثاليّة، أو الرضا الوظيفيّ – دورًا بارزًا، ناهيك عن مناخ العمل الأنانيّ أو الآليّات لتطبيق القواعد الأخلاقيّة، ومع ذلك، فإنَّ العديد من هذه العوامل تتأثّر بشدة بمنطق النظام الاقتصاديّ العام، وبالتالي، فإنَّ الأخلاق – إذا جاز التعبير – عديمة التأثير من الناحية التشغيليّة، وإنَّ مثل هذه الاعتبارات النظريّة للنظام، تنطبق فقط على المستوى الكلّيّ للمراقبة، ويجب ألّا يتمّ تعميمها.

تُشير العديد من المبادرات إلى أنّه من الأفضل معالجة التحدّيات الأخلاقيّة، من خلال «الخبرة الفنّيّة وخبرة التصميم»، ومعالجة المفاهيم التي تبدو الإصلاحات التقنيّة لها ممكنة، مثل الخصوصيّة والعدالة، على الرغم من أنَّ تأثير هذا العمل واستيعابه في البيئات التجاريّة لا يزال خفيفًا، ومع ذلك يبدو أنَّ الأساس المنطقيّ هو كما يلي: عدم مراعاة الأخلاقيّات بشكل كافٍ يؤدّي إلى قرارات تصميم سيّئة، والتي بدورها تؤدّي إلى إنشاء أنظمة تضرّ المستخدمين.

إنَّ الذكاء الاصطناعيّ يرجع إلى حدّ كبير إلى قدرته الواضحة على استبدال أو تعزيز الخبرة البشريّة، وتعني هذه المرونة أنَّ الذكاء الاصطناعيّ يصبح حتمًا متشابكًا مع الأبعاد الأخلاقيّة والسياسيّة للمهن والممارسات التي يندمج بها.

تُعَدُّ أخلاقيّات الذكاء الاصطناعيّ نموذجًا مُصغَّرًا للتحدّيات السياسيّة والأخلاقيّة التي يواجهها المجتمع؛ لأنَّ تأطير التحدّيات الأخلاقيّة في عيوب التصميم، يضمن أن تظلّ تقنيّة في الأساس، ومحميّة من التدخّل البشريّ، ومن الحماقة افتراض أنَّ المسائل المعياريّة القديمة والمُعقّدة للغاية يمكن حلّها من خلال إصلاحات فنّيّة أو تصميم.

ويكمن الخطر في أنَّ المناقشات الأخلاقيّة المُعقّدة والصعبة، سيتمّ تبسيطها بشكل مُفرط لجعل المفاهيم المطروحة قابلة للحساب والتنفيذ بطريقة مباشرة، ولكن ضحلة من الناحية المفاهيميّة، وليس المقصود من الأخلاق أن تكون سهلة أو ذات صيغة معيّنة، إذ لا بدّ من توقّع الخلافات المبدئيّة المستعصية والترحيب بها؛ لأنَّها تعكس الاعتبارات الأخلاقيّة الجادّة والتنوّع الفكريّ.

إنّها لا تمثّل الفشل، ولا تحتاج إلى حلّ، فالأخلاق هي ممارسة وليست وجهة نظر، يبدأ العمل الحقيقيّ لأخلاقيّات الذكاء الاصطناعيّ من خلال ترجمة وتنفيذ مبادئنا السامية، ومن خلال القيام بذلك نبدأ في فهم التحدّيات الأخلاقيّة الحقيقيّة للذكاء الاصطناعيّ.

قلعة عجلون/ الأردن

العدد

أدبُ الشّباب في عجلون
رؤيةٌ من مناطق وعي عالية

إعداد: الدكتور سلطان الزغول

- الأدباءُ الشّبابُ في عجلون ..... الدكتور سلطان الزغول
- طريقُ النَّحلِ في عجلون ..... الدكتورة شذى غرايبة
- تساؤلاتٌ ومحاولاتٌ للإجابة ..... الدكتور عبد الرحمن القضاة
- عجلون.. سويسرا الشرق ..... ميساء المومني
- من مقبرةِ الوهادنةِ إلى العالَم ..... عامر الشقيري
- عجلون.. عنجرة حيثُ يلتقي الأدبُ بالتراث والطبيعة ..... الدكتور بشار الزغول
- عجلونُ مُلهِـمةُ الإبداع.. تجربتي نموذجًا ..... الدكتورة سامرة أحمد المومني

قلعة عجلون/ الأردن

أدبُ الشّبابِ في عجلون
رؤيةٌ من مناطق وعي عالية

إعداد: الدكتور سلطان الزغول.

في هذا المِلفّ تستكتب مجلة (صوت الجيل) عددًا من الكاتبات والكُتّاب الشباب، حول أدبهم في هذه المحافظة، التي يُميّزها تاريخها ووعيها الثقافيّ، ونسعى من خلال تصريحاتهم الثقافيّة إلى فهم واقع أدب الشّباب، وما يحيط به، ذهاباً إلى النهوض به وتعظيم إيجابياته، إذ إنَّ هذه الأدب قد نشأ في ظروف خاصة، وبالتالي صار لنا أن نرصده بعناية، وأن نُقدِّمَ للقرّاء والباحثين ما يمكن أن يدلّ على سمات ما يكتبون، وتلك الطرائق التي يُفكّرون بها، فحقيقةُ الأجيالِ الأدبيّةِ حوارٌ أكثرُ من كونها تنافراً، فالأدب استمراريّة للمخزون الثقافيّ البشريّ، وبالتالي الانطلاق منه نحو آفاق جديدة.

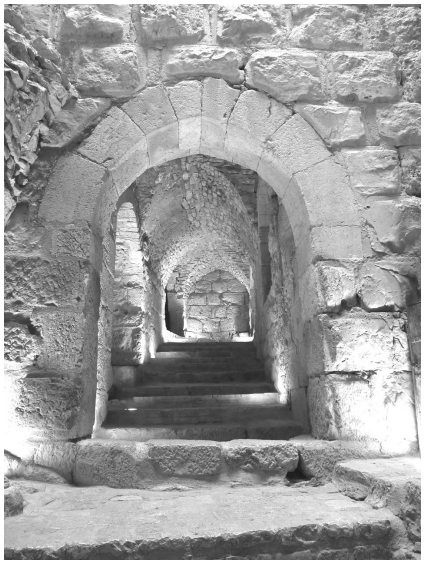

قلعة عجلون/ الأردن

الأدباءُ الشّبابُ في عجلون

الدكتور سلطان الزغول

في كتابه (الحياة العلميّة والثقافيّة في الأردن في العصر الإسلاميّ)، يتحدّث يوسف غوانمة عن ثلاثة وثمانين عالماً وأديباً من علماء وأدباء عجلون الذين كانوا على اتصال بعلماء دمشق وبيت المقدس، رحل أغلبهم إلى دمشق والقاهرة والقدس، حيث حقّقوا شهرتهم، ما يؤكّد على الحياة الثقافيّة العامرة والغنيّة في عجلون وازدهارها، خاصةً في العهدين الأيوبيّ والمملوكيّ.

وضعت التنظيماتُ الإداريّةُ العثمانيّةُ عجلون في لواء مستقل يتبع ولاية الشام، ويضمّ جميع أجزاء شرقيّ الأردن بمفهومه السياسيّ الحاليّ، واستمرّت هذه الحال إلى عام 1861م، حيث شُكِّلَ قضاء عجلون ودُمج مع لواء حوران. والمثير أنَّ قضاء عجلون قد شهد أواخر العهد العثمانيّ كثافةً في الاستيطان، حيث ارتفع عدد سكان القضاء من (20) ألفاً أواخر سبعينيّات القرن التاسع عشر، إلى (62) ألفاً عام

1914، والمفارقة أنَّ عدد سكان أقضية لواء حوران الأخرى جميعها باستثناء عجلون لم يتجاوز (12) ألفاً.

ويُرجع بعض الباحثين ازدياد عدد السكان في قضاء عجلون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، إلى خصوبة الأرض، والطبيعة المنيعة التي شكّلت ملاذاً للفلّاحين المستقرّين ضد اعتداءات البدو.

لعلَّ هذا المزيج السكّانيّ الكثيف بمقاييس ذلك العصر، الذي احتمى بالطبيعة الجبليّة، واستهوته خصوبة الأرض ومنعتها، قد أسهم في تبلور حياة اجتماعيّة واقتصاديّة متميّزة يسودها الوعي، وترعاها الأرض الخصبة التي لم تبخل على إنسانها بالعطاء، إذ يؤكّد الرحّالةُ الذين مرّوا بقضاء عجلون على العلاقة الوديّة بين المسلمين والمسيحيين، حتى إنّه لا يمكن التمييز بين أصحاب الديانتين؛ لأنَّ مظهرهم وملبسهم وعاداتهم متشابهة.

ويتحدّث المستشرق (أوليفانت) في كتابه (أرض جلعاد) عن ذلك، فيقول: «ضمّت بلدة عجلون عام 1879 أكبر تجمّع سكّان إلى الشرق من نهر الأردن». ثم يُشير أوليفانت إلى احترام المسلمين في قضاء عجلون لإخوانهم المسيحيين، ومحافظتهم على حقوقهم، فلم تترك الصّراعات الطائفيّة في المناطق المجاورة أيّ صدى في القضاء. ويُرجع نعمان قسّاطلي أسباب ذلك إلى بعد المنطقة عن الدسائس الاستعماريّة، وإلى اندماج المسيحيين اجتماعيّاً واقتصاديّاً مع المسلمين.

وقد أُنشئت في عجلون وعنجرة عام 1888م مدرستان للروم الأرثوذكس، قبل أن يُنشِئَ اللاتين في عجلون مدرستهم عام 1889، وبعدها بعام واحد أنشأ اللاتين مدرسةً أخرى في عنجرة، وقد أسهمت هذه الحياة التي يسودها الاندماجُ والتنوّعُ والوعي، خاصة مع إنشاء المدارس التي استقبلت المسلمين كما استقبلت أبناء الطوائف المسيحيّة، في نمو الحياة الثقافيّة في عجلون مطلع القرن العشرين.

امتلكت مدينة عجلون ميزةً أخرى، إضافةً إلى وقوعها في محيط خصب وتميّزها بكثافة سكّانيّة عالية، وهي موقعها الذي ربطها بشبكة مواصلات تمتدّ إلى الأغوار، وفلسطين، والبلقاء، وإربد، ودمشق، ما أعطاها مزايا اقتصاديّة، فعُرِفَت بنشاطها الاقتصاديّ والتجاريّ، وتشعّب الأسواق وكثرتها، بل إنَّ علاقاتها التجاريّة لم تقتصر على المناطق المجاورة، إذ شملت الدول الأوروبيّة، ويدلّ على ذلك وجود (دار الطعم) في عجلون، وهي وكالة للتّجّار الأجانب.

ويمكن أن نستخلص من هذه الميزات الغنى الثقافيّ الذي تشكّل في بيئة عجلون بتأثير الحياة الاقتصاديّة والموقع الجغرافيّ والتنوع الاجتماعيّ، ناهيك عن الإرث التاريخيّ الراسخ، خاصة منذ أن أدرك صلاح الدين الأيوبي أهمّيّة عجلون الإستراتيجيّة، فأوعز لقائده عزّ الدين أسامة ببناء قلعتها، ثم تابع المماليك من بعده الاهتمام بها، حيث صارت عجلون في عهد دولة المماليك الأولى من أهمّ الدروب الاقتصاديّة، بل هي الممرّ الوحيد الذي تسلكه قوافل التجارة بين العراق ودمشق والقاهرة؛ لتعذّر دخول البدو إليها ومهاجمة القوافل التجاريّة.

هذه البيئةُ الخصبةُ على المستوى الاجتماعيّ والاقتصاديّ والزراعيّ والبيئيّ، التي تنتمي إلى جنوب بلاد الشام بموروثها الثقافيّ، تُغذّيها أساطير الكنعانيين، ومفردات الآراميين، وأشجار الزيتون الروميّة، وتحرسها غابات البلوط والسنديان، ومئذنة جامعها الكبير الذي بناه الصالح نجم الدين أيوب، وقلعتها الحصينة المُطلّة على القدس، وتتوسّطها خانقاه سيد بدر، التي انطلق منها شعاع محمد بن علي بن جعفر الشمس العجلونيّ المعروف بالبلالي؛ لينير من عجلون دروب المتصوّفة في دمشق والقاهرة.

هذه البيئةُ الغنيّةُ والمتجدّدةُ أبداً، والتي أنتجت في النصف الثاني من القرن العشرين أسماءً لامعةً في سماء الشعر والقصة والرواية، محمد سعيد المومني، الذي صنّفته اليونسكو في ستينيّات القرن العشرين أصغر

أديب في الشرق الأوسط، ومنحته بعثة إلى أوروبا مدة سنة، يحاور فيها فلاسفة أوروبا وأدباءها، إدوارد عويس الشاعر الذي طالما صدح من عجلون بنَفَسه القوميّ؛ ليكتب قصيدة عشق لا تنتهي، هذان مثالان ساطعان على خصوبة الأدب العجلونيّ الذي ظلّ يتجدّد ويتمدّد، ويندمج في سماء الثقافة الأردنيّة، غير منقطع عن بُعده القوميّ والإنسانيّ.

وصل الأدب ذروته في عجلون في تسعينيّات القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين؛ بتأثير حماسة عدد من العاملين في الشأن الثقافيّ، كملتقى ألوان الثقافيّ، وجماعة رايات الإبداعيّة، وبرز في سماء الثقافة الأردنيّة في هذه المرحلة عدد من أدباء عجلون الذين أسهموا في الارتقاء بها وإغنائها، كالشاعر سمير القضاة، والكاتب المتنوّع رمزي الغزوي، والقاصّ والشاعر عمار الجنيدي، والباحث الدكتور يوسف ربابعة، وكاتب هذه السطور الذي مارس الشعر والنقد، وقد حافظ هؤلاء الأدباء على التواصل المثمر والمُغني مع قطاع الثقافة على المستويين الأردنيّ والعربيّ.

ومن المحطّات الفاصلة أوائل العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، مسابقة إبداعات عجلونيّة التي أطلقتها مديرية ثقافة محافظة عجلون، التي كشفت عن عدد من المواهب المتميّزة من أبناء عجلون في الشعر والقصة، وقد أغنت هذه المواهب بإبداعاتها الأدب الأردنيّ، وشكّل بعضها علامة فارقة فيه.

ثم تأسيس فرع رابطة الكُتّاب الأردنيين في عجلون، الذي ترافق مع إعلان عجلون مدينةً للثقافة الأردنيّة عام 2013، حيث احتضنت الرابطة عدداً من أدباء عجلون، وساهمت في إبراز إبداعاتهم عبر نشاطات نوعيّة، أبرزها مهرجان عجلون للشعر العربيّ، ما شكّل حالة ثقافيّة خاصة، وسلّط الضوء على عدد من الأدباء الذين طالما زهدوا بمغادرة عجلون والاندماج في الثقافة الأردنيّة.

حافظت عجلون على تجدّدها وغناها وروحها المتدفّقة عبر إنسانها، ويأتي هذا المِلفّ الذي يضمّ دفقات نخبة من شبابها الذين يحفظون لها وهجها وتدفّقها، والذين يهتدون بإشعاعات من سبقهم على دروب الإبداع؛ ليُعبّر عن هذا التجدّد وهذا التدفّق والغنى، آملاً أن يعطي ضوءاً كاشفاً على بعض التجارب الغنيّة رغم قصر عمرها الإبداعيّ.

وقد اخترنا أن يضمّ مجموعة متميّزة من كُتّاب عجلون الشباب، الذين يمثّلون تنوّعاً في أساليب الكتابة، ويتخصّص بعضهم في الشعر وبعضهم في السرد، لكن ما يجمعهم هو تأثير الخلفيّة المكانيّة الطاغي في نصوصهم، وهذا طبيعيّ لأبناء هذه البيئة الخاصة التي تغفو في قلب الغابات، تجدّل ضفائر عناة، وتمسّد لحية بعل الذي يرعى الحقول، ويحنو على البساتين، ويزهر في الدحنون.

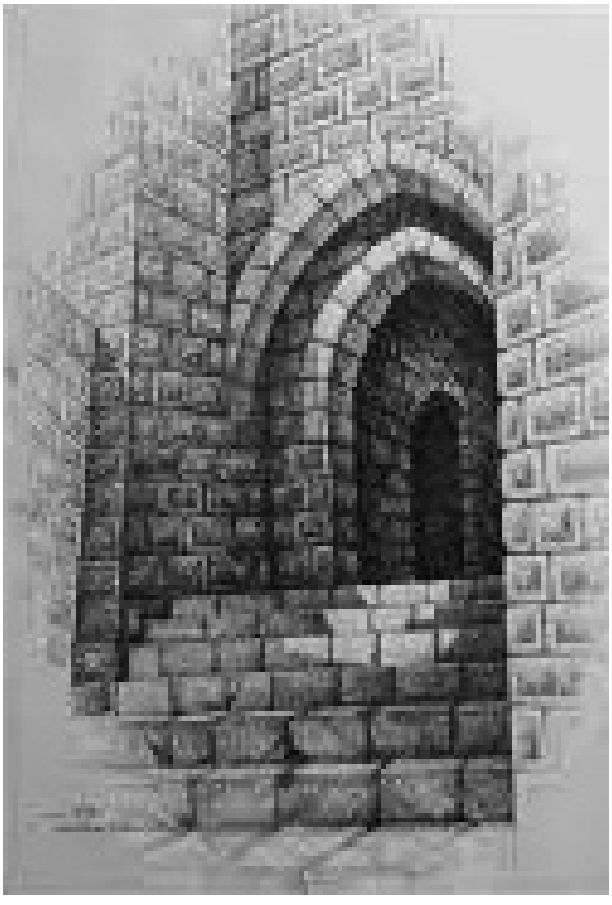

لوحة الفنان فرج الدهام/ العراق

قلعة عجلون/ الأردن

طريقُ النَّحلِ في عجلون

الدكتورة شذى غرايبة

البدايات

عندما أعود بذاكرتي إلى طفولتي التي قضيتُها في قرية الهاشميّة في عجلون، تتبادر إلى ذهني مكتبة (عقيل) على طريق القلعة، بوصفها أول مكتبة ارتدتُها في طفولتي، والتي آمل أنَّها لا تزال موجودة، حيث كنتُ أواظب على شراء مجلات الأطفال، أو أوصي القادمين إلى القرية بجلبها. أتذكَّرُ عندما وصل ردٌّ من مجلّة (ماجد) التي تصدر في الإمارات العربيّة على إحدى مشاركاتي، كان الأمر أشبه بوصول شيء نادر، وقد تواصل موظّفو البريد آنذاك مع أخي الأكبر لتبليغنا بضرورة حضورنا لحدث طارئ، والذي كان وقتها ردّاً بمكافأة ماليّة ما زلتُ أحتفظ بها إلى اليوم، بعملتها الإماراتيّة كما وصلت.

تقع قرية الهاشميّة غرب محافظة عجلون شمال العاصمة عمّان، وتبعد عن عمّان حوالي 86 كم، وعن مركز مدينة عجلون 15 كم، وهي منطقة شفا غوريّة، مُطلّة على الأغوار الشمالية وجبال طوباس في فلسطين، اسمها القديم (فييرا)، مشتقّ من اسم رومانيّ، وقيل إنّه وعاء المسك، كما قيل إنّه لناسكة اختارت الجبال لتتعبّد فيها، حيث إنَّ المنطقة جبليّة وعرة، ويكثر فيها الزيتون الروميّ، كما تمتاز بأشجار الخرّوب، والنّبق، والبطم، والعبهر، والسّنديان، والملّول، وتكتسي جبالها بأزهار الدّحنون الأحمر والأبيض والبنفسجيّ، والأقحوان، والبسباس، والسوسنة السوداء، الزهرة الوطنية للأردن، وقد كانت أزهارُ الدّحنون وزهرة الخروف (زهرة نبات الرجف) أحبَّ الأزهار إليّ؛ لألوانهما البديعة وحسن ملمس بتلاتهما.

كانت مكتبة أسرتي، بالإضافة إلى مكتبة المدرسة، من أهمّ مصادري للقراءة آنذاك، فقد احتوت مكتبة والدي على كتب الدراسات الإسلاميّة والعسكريّة والهندسيّة؛ بحكم عمله ضابطاً في الجيش العربيّ، كما كان لدينا مكتبة موسيقيّة لأغاني أمّ كلثوم وعبد الحليم حافظ ومحمد عبده. أما مكتبة خالي يوسف ربابعة فكانت تبدو كحلم جميل، أو كوقت مستقطع في روضةٍ غنّاء، أتجوّل بين رفوفها باحثةً عن عنوان مناسب للطفلة التي كنتها آنذاك، وقد كانت أغلب الكتب والروايات تسبق عمري بأشواط، لكنّني عكفتُ على قراءتها مُحاوِلةً فكَّ طلاسمها.

كانت رواية (قصة مدينتين) هي أول رواية يمنحها لي خالي لتكونَ ملكاً شخصيّاً لي، ولذلك لا يمكنني أن أنسى مطلعها: «كان أحسن الأزمان وأسوأ الأزمان، كان عصر الحكمة وعصر الحماقة، كان عصر اليقين والإيمان، وكان عصر الحيرة والشكوك، كان زمن النور وزمن الظلمة، كان ربيع الأمل وشتاء القنوط».

القرية هي التّفاصيل، يمارس الناس حياتهم هناك بتركيز مبالغ فيه على التّفاصيل، وأعيد ذلك إلى أنَّهم معتادون على مراقبة أشجارهم وانفلاق براعمها بكلّ شغف وصبر. التفاصيل تحتاج إلى الصبر والانتظار، وإلى توقّع المفاجأة، فالحياة هناك، وإن كانت روتينيّةً في ظاهرها، فإنَّها تحتمل توقّع أمطار المفاجآت، حتى وإن كنت من مدمني النشرات الجويّة.

التأمّل رياضة كنتُ أجيدها كمتمرّسة في اليوغا، فقد كان والدي يهوى تربية النحل، وكنتُ أرافقه وأتأمّله لساعات من بعيد وهو يرتدي ثوب النحّال، ويعتني بخلايا النحل، ويتنقّل بينها واحدة تلو الأخرى، كما كنت أقضي الوقت في تمييز النباتات والعبث ببتلات الأزهار المتناثرة، كما لو أنّني نحلة تنتقي الطريق.

لكنَّ القرية كانت بعيدةً عن كلّ النشاطات الثقافيّة، كان الوصول إلى مركز المحافظة في تسعينيّات القرن الماضي صعباً على الكبار؛ بسبب سوء المواصلات وندرتها، فما بالكم بطفلة صغيرة، كان الأمر معقّداً جداً، المكتبات غير موجودة، عدا مكتبات المدارس في القرى، والتي لا تكون متاحةً في العطل والإجازات الصيفيّة، ولم تكن هناك حصّة مدرسيّة أسبوعيّة، على سبيل المثال، مخصّصة للمكتبة في الجدول الدراسيّ، وأعتقد أنَّ أغلب المكتبات الأخرى هي في الحقيقة محلّات لتبضّع القرطاسيّة.

كانت الجريدةُ تستهويني، وكنتُ أقضي الساعات في تصفّحها وقراءتها بوصفها مصدراً نادراً قادماً من البعيد، وكنتُ أحسبها قد قطعت طريقاً طويلةً لتصلني مع والدي الذي كان يأتي في نهاية الأسبوع مُحمّلاً بأعداد الرأي والدّستور.

التشكيل

من الكُتّاب الذين كان لهم الأثر الأكبر في تطوّر أسلوبي الكتابيّ والمعرفيّ والنّقديّ يوسف ربابعة، وإبراهيم غرايبة، ومعاذ بني عامر، حيث يظهر أثر متابعة التفاصيل والظواهر الاجتماعيّة ووصفها، وتبنّي فلسفة النقد، ومراجعة التراث الإسلاميّ والاجتماعيّ، وإظهار التسامح وتقبّل الآخر، واضحاً في تعاطيهم مع النصوص الأخرى وكتاباتهم، وإنّني إذ أتتبّع أساليبهم، أجدها متماهيةً مع الأرض في عجلون التي تبدو وعرةً، لكنّها تمنح تنوّعاً بيئيّاً بديعاً.

كما ساهمت النشاطات الثقافيّة التي كانت تُقام -رغم قلّتها -في عجلون بتشكيل هُويّتي وانتمائي للمكان، وأزعم أنَّ المدرسة كانت حاضنةً للموهبة من خلال مصادرها وأنشطتها التي شكّلت الرحيق الأول لتذوّق حلاوة عسل الكتابة. لاحقاً ساهمت المشاركة في النشاطات الثقافيّة ونوادي الكتب في إربدَ وعمّانَ، في تشكيل قدرتي الأوليّة على نقد النصوص، ومحاولة التمييز بين الغثّ والسّمين، مثل منتدى شرفات الثقافيّ في إربد، ومنتدى محترف رمال في عمان.

وعلى الرغم من أنّهما نتجا عن جهود شبابيّة فرديّة، فإنّهما استطاعا تقديم أرضيّة خصبة لإنتاج دفق كتابيّ داخل قالبٍ منظّم، ومن خلالهما التحقتُ بدورات عدة لتطوير مهارتي، وبخاصّة دورة كتابة القصّة القصيرة للدكتور مصلح النجّار، التي كانت علامة فارقة في صقل وتحديد نوع النصوص التي أكتبها، ومن خلالهما أيضاً قدّمتُ نصوصي لأول مرة بطريقة احترافيّة في أمسيات ثقافيّة، والتي تمّ تتويجها لاحقاً بمشاركتي في أمسية القصة القصيرة في مهرجان جرش الثقافيّ. ومن المحزن أنّه لم يُكتب لمثل هذه الأندية التي كانت تحرسها أحلام الشباب الاستمرار، وانتهت إلى اليباس، ما يستدعي البحث في عدم قدرة مثل هذه الأندية على الاستمرار.

الآفاق

لا شكَّ في أنَّ مشاكل البعد قد تضاءلت مع ما نعيشه اليوم من ثورة في الاتصالات، وسهولة التّواصل والتفاعل عن بعد، لكن رغم ذلك هناك حاجة لتقديم المعلومات بطريقة منظّمة تفاعليّة، تشترك فيها الفعاليات الثقافيّة والمجتمع المحلّيّ؛ ليكون الأطفال والمراهقون وكبار السِّنّ ضمن أولوياتهم.

إنَّ تبنّي مكتبة بدورها الفعّال كمركز ثقافيّ، يبدو أكثر إلحاحاً مع مرور الوقت، بحيث تكون برامجها موجّهةً حسب الفئات العمريّة؛ لما لذلك من أثر كبير في بلورة فكر الأطفال والمراهقين على حدّ سواء، كما أنَّ كبار السِّنّ يحتاجون لأن يكونوا ضمن الفئات المستهدفة رجالاً ونساءً بما يناسب بيئتهم الثقافيّة واهتماماتهم.

الشّباب الذي يجب أن يُشرك في تنظيم الرؤى الثقافيّة، سيثبتُ قدرته على استطلاع طريق النحل رغم وعورة الطريق، واقتراحاتهم يجب أن تُؤخذ على محمل الجِدّ، حتى لو بدت خارج الإمكانات والميزانيّات؛ لأنَّهم خبروا يأس مَنْ سبقوهم، وسيكون إصرارهم أكبر للوصول، وثورة المواصلات وانفتاح الأفكار على بعضها بعضاً سيجعل سبل الوصول إلى الرحيق أكثر سلاسة، ويكون دور المهتمين بالشأن الثقافيّ إعداد حقل الأزهار وانتظار النتائج.

كما أنَّ توقيت الفعاليّات الثقافيّة يجب أن يكون متوافقاً مع تقويم الناس، بما يُمكّنهم من التفاعل والمشاركة، ويُمكّنهم من الاحتفاء بالأرض كما اعتاد أسلافهم ربط دورة الحياة والفصول بتفاصيل أيامهم، بما في ذلك طعامهم وشرابهم، ونوعيّة أحاديثهم، فإنَّ صوت الأرض في عجلون أكثر وضوحاً، ومشاكستها لساكنيها الذين يعرفونها حقّ المعرفة، يُمكّنهم من تتبّع طريق النّحل، ما يجعلهم قادرين على الخلق والإبداع أكثر من إملاء نشاطات وقوالب ثقافيّة جاهزة.

قلعة عجلون/ الأردن

تساؤلاتٌ ومحاولاتٌ للإجابة

الدكتور عبد الرحمن القضاة

تأثير المكان

لا يؤثّر المكانُ في الكتابة مثل أيّ مؤثر، بل يتجاوز ذلك إلى مستوى صناعة الإبداع وقولبته، فنحن لا نتحدّثُ عن مؤثّرٍ واحدٍ، بل نتحدّث عن شبكة من المؤثّرات في إطار واحد، فالمكانُ هو المجتمع، وهو الطبيعة، وهو نمطُ العيش، ومن غير الممكن أن يكون النّصّ الأدبيّ المولود في المدينة كالنّصّ المولود في القرية، أو ذاك المولود في البادية كالمولود في الحاضرة.

وربما نتجاوز ذلك، فنقول ليس النّصّ المولود في الجبال كذلك المولود في السهول، ولا النّصّ الذي وُلِدَ في السواحل كالنصّ الذي وُلِدَ في الدواخل، وينبغي أن يكون لكلّ ممّا سبق ملامح وخصائص تختلف عن غيره، وكما قال ابن خلدون: «الإنسانُ ابن بيئته»، فإنَّ النّصّ أيضاً ابنُ بيئته.

لكن ما يُميّز الأدب أنّه ينبغي أن يخترق الآفاق المرئيّة، ويختلق البيئات المُتخيّلة، وهذا يعتمد على ثقافة الأديب، واطّلاعه، ورحلاته، وأسفاره، ولعلَّ الزمان بظروفه المتباينة يحدّ من سطوة المكان، فنحن اليوم نعيش في عوالمَ متعدّدةٍ ونحن في بيوتنا، ونتفاعل مع أحداث عالميّة ونحن في أحيائنا، فالمكان اليوم ليس هو المكان قبل عشرين أو ثلاثين عاماً، المكان اليوم ليس مُغلقاً، بل إنَّ المكان الذي نحسبه مُغلقاً فيه نوافذ تُطلّ منها إلى ما وراء البحار.

أمّا على الصعيد الشخصيّ، فلا أراني إلّا ضمن هذا المحيط ببُعديه: الواقعيّ والافتراضيّ، فأحياناً يكون النصّ الذي أكتبه ذا هُويّة محليّة، ويكون أحياناً أخرى بهُويّة تتجاوز ملامحُها كلَّ الحدود والأماكن.

التأثّر الإبداعيّ

إذا تساءلتَ عمّا أثّرَ في نتاجي الأدبيّ من كُتّاب، فلا بدّ أن أقول إنَّ الكاتب لا يتأثّر بكُتّاب محصورين بنطاق محافظة أو منطقة، وأسباب ذلك كثيرة، فنحنُ لا نعيش في قوقعة معزولة، حتى النشاطات الثقافيّة التي تقام داخل المحافظة، يشارك فيها كثيرون من محافظات أخرى، وكذلك يشارك كُتّاب المحافظة في نشاطات كثيرة خارجها، وبالرغم من ذلك هناك كُتّاب عجلونيّون أسبق منّي تأثّرتُ بهم، ووجدتُ من بعضهم الدعم والتحفيز، وربما كان التأثير المباشر على الكتابة قليلاً، لكنَّ التأثير الأكبر كان على النشاط والمشاركة، خصوصاً في البدايات.

أمّا إذا تساءلتَ عن تاريخ المحافظة وأثره على الإبداع، فلا بدّ من التأكيد على هذا الأثر، خصوصاً أنّك تتحدّث عن منطقة لها تاريخ حضاريّ عميق، فالتاريخ العجلونيّ يحضر أحياناً في شعري، ويكون ذلك على الأغلب عبر توظيف الرموز التاريخيّة المنتمية إلى المنطقة، كقلعة عجلون، والشهيد فراس العجلونيّ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في بعض شعري:

بوّابةُ القدسِ هذي الأرضُ مُذْ خُلِقَتْ ... والفاتحونَ لها من بابها دخلوا
فيها أقامَ صلاحُ الدّينِ قلعتَهُ ... كيلا تحيدَ عن الأقصى بنا السُّبلُ
من طينِ عجلونَ من طبعِ الوفاء به ... فراسُ والمجدُ والشهداء قد جُبِلوا

لكن ممّا ينبغي الإشارةُ إليه أنَّ هذا التأثير محدود في بعض النصوص، أمّا أغلب نصوصي الشّعريّة فهُويّتها ليست محدودة، وآفاقها متّسعة.

عجلون والمَرْكَز

تبتعد محافظةُ عجلونَ عن العاصمة كمركز ثقافيّ بُعداً محدوداً برأيي، فليسَتْ عمّانُ ببعيدةٍ عن عجلونَ ذلك البُعد الذي يكون له الأثر الكبير على متابعة الأنشطة الثقافيّة، والتواصل مع المبدعين الذين يتركّز أغلبهم في العاصمة. وتكاد بعض أحياء عمّان تبعد عن أخرى مثل بُعدها عن عجلون، لكن إن افترضنا أنَّ هذا البُعدَ بُعدٌ نسبيّ، فلا أظنّه يؤثّر تأثيراً كبيراً، لأنَّ الحراك الثقافيّ – في رأيي – ليس مركزيّاً إلى ذلك الحدّ.

ولا بدّ من القول بلا شكّ إنَّ النشاطات الثقافيّة التي تُعقَدُ في عمّان تمتلك خصوصيّةً وتفرّداً، فهي ملتقى لجميع الأدباء والمهتمّين بالشأن الثقافيّ، إذ إنَّ كثيراً من المثقّفين والكُتّاب من أبناء الوطن شماله وجنوبه، وشرقه وغربه، تركوا قراهم وبلداتهم، واستقرّوا في عمّان التي تُشكّل ثقافيّاً لوحةً فسيفسائيّةً جميلةً، لذا أعدّ مشاركاتي في ملتقياتها ومنتدياتها ومنابرها من أجمل نشاطاتي.

ساهمت ثورةُ الاتصالات في القدرة على تجاوز الحدود الأردنيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ، فوسائل التواصل الاجتماعيّ لا تعرف الحدود، ولا تتطلّب تأشيرةً ولا حتى ختماً على جواز السفر، فكلّ مَنْ يستخدم هذه الوسائل يُحلّق بلا حدود، سواءٌ أكان كاتباً أم قارئاً، ويبقى الفارق بين كاتب وآخر أمام هذه الثورة هو مدى استغلال كلّ واحد منهما لهذا الفضاء الرّحب، والتفاعل مع معطياته.

أمّا عن تجربتي الشخصيّة، فأنا أتفاعل إيجابيّاً من ناحيتي النشر والقراءة، وأتابع كُتّاباً من مختلف البلدان، ويتابعني قُرّاء من بلدان متعدّدة، لكنّني أجد أنّني لم أبلغ ذلك الوجه الأمثل، ولم أسعَ إلى ذلك بكلّ الإمكانات، وربما كان بالإمكان أفضل ممّا كان، فأنا أعترف بالتقصير في هذا الباب الذي يفتح آفاقاً واسعةً للكاتب والقارئ.

تمتلك محافظة عجلون تحديداً خصوصيّةً تجعلها قادرةً على التفاعل الثقافيّ، وتحقيق حراك متميّز، ولا أظنّ أنَّ هناك ما ينقصها في هذا الجانب، لكنّني أزعم أنَّ الحراك الثقافيّ عموماً ليس على ما يرام، إذ ينبغي أن يجري الحراك الثقافيّ نحو أهداف معيّنة؛ لنخرج من حالة اللاجدوى التي تُحبط كثيراً من المثقّفين وحتى الهيئات الثقافيّة الفاعلة.

وحين نُحدّد الأهداف بوضوح، تصبح كلُّ خطوةٍ ثقافيّةٍ باتجاهها مُجديةً ومفيدةً في المسيرة الثقافيّة، لكن المؤسف أنّ جُلَّ الفعاليّات الثقافيّة لا غاية لها إلّا إقامة النشاط، وتدوين ذلك في سجلات النشاط، والحراك على هذا النحو في أغلبه جهد مهدور، وسعي بلا غاية.

في عجلون عددٌ من الهيئات الثقافيّة الناشطة، ومديرية ثقافة عجلون مديريّة فاعلة وقريبة من المجتمع، وتمتلك عجلون بنيةً تحتيّةً جيّدةً لإقامة أيّ نشاط ثقافيّ، فمقوّمات النشاط الثقافيّ متوافرة ومميّزة، لكن الذي نحتاجه بالدرجة الأولى هو الرؤيا، وتحديد الأهداف بصورة دقيقة، ليس على مستوى عجلون وحدها، بل إنَّ هذا مطلبٌ أساسيٌّ لأيّ حراك.

قلعة عجلون/ الأردن

غابات عجلون/ الأردن

عجلون.. سويسرا الشرق

ميساء المومني

حين تتعدّد دوافع الكتابة لدى كثيرين ما بين ضرورة أساسيّة مُلحّة، وفروض يوميّة، أو زركشة كماليّة مُضافة، أجدها لديَّ تأخذ ذاك المنحى الحيويّ الذي يجعل منها فعلًا لدُنيًّا لا ينفكُّ، يتّصلُ بالهويّة الرّوحيّة، وهكذا لا أتوقّف عن فعل الكتابة حتّى تتوقّف الأرضُ عن دورانها، أظلّ بكلّ حرارةِ الأطفالِ وبراءتهم وصدقهم أقفزُ بين الخطوط المرسومة؛ لأدركَ أنّني في ذروة حريّتي.

أكتبُ لأنّني أدركُ أنَّ كلَّ حرفٍ في سبيلِ حريّتي زيادةٌ في متوسّط عمر النبض الذي على قيد الحياة يبقيني، أكتبُ حتّى يتماهى الإنسانُ فيَّ مع الآخر؛ لأكونَ والمكان من حولي شقائق النعمان، فأدرك ذاتي، هكذا أجدني في ما أكتب، أتّحدُ حتّى النخاع مع الطبيعة، أُشاطِرُ طيورَ الغابة نشيدها، أو أعتلي قمّة الريح، أفتح قلبي لثرثرتها، فأصيرُ نايًا.

عجلون «سويسرا الشرق» كما يقولُ عنها المرشد السياحيّ حكيم أسمر، بما يُلفت نظر السائح؛ لوجود نسخة مشابهة من جبال «فرنسا وسويسرا» مع هواء عليل شماليّ الأردن، وهذه الطبيعة الجبليّة الساحرة، فيها من الدهشة في تركيبة أشجارها وتربتها، وسفوحها ومراعيها، ما يجري به مداد الشعراء والأدباء على مرّ الزمن. عجلون صاحبةُ البصمة التاريخيّة العظيمة، التي تتمثّل في قلعة صلاح الدين الأيوبيّ الحصينة، والتي في ما بعد صارت رمزًا لشموخ أبنائها وعلوّ الهامات والهمم، وأجلّ فكرة تنبري لأجلها الأقلامُ إلى يومنا هذا.

عجلون مدينة الجبل والوادي والزيتون، الينابيع والعيون، وقد وصفها الرحّالة ابن بطوطة بالمدينة الحسنة، ما جعلها تحتضن طائفة كبيرة من الأدباء والشعراء والعلماء، فكانت مدينة عائشة الباعونيّة، والعالم إسماعيل العجلونيّ، وكثير من الأسماء في عصرنا هذا، ممّن نتأثّر بأدبهم الأصيل وحرفهم المخضرم.

لا تألو مديريّة الثقافة في محافظة عجلون جهداً في تقديم أشكال الدعم المتنوّعة؛ للارتقاء بالإبداعات وإطلاقها، وتمتلك محافظة عجلون ميزات متنوّعة ومكنونات حضاريّة وتاريخيّة، وطبيعيّة وتراثيّة وثقافيّة، تحتاج الإبراز والإظهار، وتسليط الضوء عليها، وهذا لا يتأتّى إلّا برعاية مؤسسيّة ناجحة، وجهود أفراد وهيئات على درجة عالية من الوعي بالحاجات والمواهب، والاتجاهات التي تسهم في نهضة المجتمع على المستويات جميعها، ولا نُغفل دور المجتمع المحلّيّ بطبقاته كلّها في ترسيخ هذا الجهد ومساندته.

من هنا كان للأنشطة والبرامج التي تنفّذها الهيئات والملتقيات والمنتديات الثقافيّة، بالتعاون مع مديريّة ثقافة عجلون، أكبر الأثر في إثراء الحركة الثقافيّة، ودعم أدب الشباب عبر المهرجانات والمعارض، والأمسيات والندوات التي تُقدَّم، سواء تلك التي تتّخذ طابعاً تاريخيّاً أو تراثيّاً، يُعرِّفُ الأجيال الحاضرة بماضيها وأثره الذي ينتقلُ تباعاً مع موروثه الأدبيّ، ذاك الذي يمثّل النّواة الحقيقيّة والأساس المتين الذي تستهدي به كوكبة المبدعين من قاصّين وشعراء ومفكّرين في العصر الحديث.

بيدَ أنَّ جغرافيّة المكان وتركّز الفعاليّات الثقافيّة في قلب المدينة، يجعلها بعيدة نوعًا ما عن باقي المناطق والبلدات التابعة للمحافظة، وهذا من شأنه أن يحرم كثيرين من حضور المستجدات ومتابعتها، ما يُحبّذ إيجاد فروع للهيئات الثقافيّة التي تُعنى بأدب الشباب الواعد والناشئين في أطراف المحافظة.

وحتى نكون على درجة عالية من الشفافيّة والموضوعيّة والمرونة، حبذا لو شُكِّلت لجانُ تحكيم ذات مقرٍّ دائم ومرجعيّةٍ ثابتةٍ، ترشد الأديب والمثقّف القارئ والكاتب على حدٍّ سواء، إلى الطريقة الصحيحة المُنهجة في خطواته نحو الإبداع.

علاوةً على ذلك أسجّل من هنا عمقًا أكبر لمُعضلة المكان، والمسافة الفاصلة التي تحدّ من فرصة المشاركة الفاعلة في كثير من الأنشطة التي تحتضنها العاصمة عمّان، حتّى إنّها تكاد تكون معدومة في أحايين كثيرة، وهذا ما حملَ الأديب على ولوج العالَم الأزرق في سبيل التعريف بنفسه، والاطّلاع على تجارب الآخرين وخبراتهم، وبالفعل أحدثت وسائل التواصل الاجتماعيّ ثورةً كبيرةً في تحقيق إنجازات تعريفيّة وثقافيّة جمّة، كما اتّخذت طابعاً إعلاميّاً وتوعويّاً لا بأس به، ليس على مستوى المحافظة والدولة فحسب، بل على مستوى العالم أجمع.

أمّا على الصعيد الشخصيّ، فقد كان لوسائل التواصل أثرها المهمّ في صقل معرفتي وتحديد طريقتي وأسلوبي، ومن ثمّ التعريف بنتاجي الأدبيّ ونشره على نطاق أوسع، كما أمكنني من خلالها التعرّف بأدباء كُتّاب وناقدين وقارئين مبدعين، هم بمثابة إضافة قيّمة تُثري حصيلتي اللغويّة والأدبيّة، أفدتُ من أدبهم، واستطعتُ في ما بعد أن أعرضَ عليهم نصوصي الأدبيّة لغايات التدقيق والنقد، وإبداء الرأي الآخر.

فقد حظيتُ بإرسال نسخة قبل النشر من كتابي (وشوشات الياسمين) لأدباء عرب يقيمون داخل الوطن العربيّ وخارجه، كما تواصلتُ مع أدباء أردنيين في عمّان وغيرها من مدن الوطن دون قيود، فوصل حرفي لكثير من الأدباء والنقّاد، ما ساهم في نشر كتبي، ومكّنني من إعداد مشاركات مباشرة في النشاطات الثقافيّة، لقد وصل كتابي إلى الجزائر وسوريا والعراق وتركيا ومصر، وغيرها من البلدان.

يستطيع الكاتب برأيي أن يوصل رسالته بشتّى الوسائل، فيؤلّف وينشر، ويوّثق رأيه في المجلّات والصُّحف بشقّيها الورقيّ والإلكترونيّ، لكن إن لم يُكلِّلْ هذا كلَّه حضورٌ حقيقيٌّ وفاعلٌ على المحكّ، وفي تماسّ مع دائرة الأدب، وتحت مِظلّة الثقافة، تظلّ تجربته نيّئةً، ينقصها النضج والرؤية البعيدة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّها سلاح ذو حدّين، تُبرزُ المبدع وغير المبدع، وتضعهما في الكفّة ذاتها، وربما ترجح كفّةُ الأخير على المبدع؛ بفعل الجلبة التي يُحدِثها المهتمّون من عامّة المجتمع، والأحكام التي يُطلقها غير المختصّين، وهذا ما يؤدّي إلى ظهور مأساة اختفاء المبدعين، وتكريس مَنْ ليس لهم علاقة بالأدب لأنفسهم أدباء راسخين، يُلحّون على اللقب ويُسوّقون له بصورة مؤسفة.

تبقى محافظتي عجلون حاضرةَ التاريخ والعراقة والثقافة؛ لشمائلها البديعة المميّزة، التي نجدها تترسّخ في تدوينات وأقوال مَنْ مرّوا بها، فأوردوا ذكرَها ووصفَها في كتبهم وأشعارهم. عجلون حيثُ التأمّلُ ومخاضاتُ الخيال، لا تضنّ على قاطنيها بما فيها من مفردات الطبيعة ذات السحر والجمال، فينهض الشّعر من مكامنه، ويجري حال عيونها العذبة على لسان الأدباء، وأذكر في هذا الصدد كم تأثّرتُ بذاك الأفق وذلك الهواء العليل، حين حرّرتُ إحساسي وعمق مشاعري في نصٍّ على شاكلة رسالة عنوانها «جبل القلعة»، والتي يتجلّى فيها كثير من الأوصاف.

ولا ننسى في آخر المطاف أهمّ ركيزة لكلّ ما نصبو إليه، ألا وهو الدعم الماليّ للمحافظة، ونشر الوعي المجتمعيّ بأهميّة القراءة، من خلال اللقاءات الثقافيّة، وإقامة المعارض والصالونات الأدبيّة، والإكثار من الأنشطة الجاذبة للصغار والكبار، بما يزيد الحراك الثقافيّ في المحافظة، ويدعم النتاج الفكريّ.

لمحافظتي العزيزة عظيم امتناني وانتمائي والولاء، فهي الحاضرة في قلبي وفكري من الألف إلى الياء.

قرية خربة الوهادنة/ الأردن

من مقبرةِ الوهادنةِ إلى العالَم

عامر الشقيري

الخطوة الأولى

لديَّ ارتباطٌ وثيقٌ بالأمكنة، رغم أنّني كثير الترحال، وفي هذا تفسير لاحتفاظي بنسخة من مفتاح كلّ بيت أرحل عنه، كما لو أنّني سأعود إليه يوماً ما.

بدأتُ القراءة في مقبرة القباة في قريتي خربة الوهادنة، قرأتُ ديوان (قصائد مغضوب عليها) لنزار قباني تحت شجرة هناك، وتورطتُ، كانت المقبرة – يا للمفارقة – النافذة التي أطلّ منها على الحياة، صرتُ مصدرَ الإزعاج الوحيد لموظّف مكتبة البلدية؛ لكثرة تردّدي عليه، وأتذكّر إلى الآن رائحة سجل الإعارة والأرفف، وشكل العتبة، ومدخل المكتبة التي تحوّلت لاحقاً إلى محلّ دواجن.

أحنّ إلى مدرسة اللاتين والدير.. إلى شجرتي اليتيمة في القباة، ويقتلني الحنين لبيت أمّ هاني، والسّور، وعتبات البيوت التي تفوح منها رائحة الفقر.. الفقر والتهميش والأمل بغدٍ أفضلَ هو ما حفّزني حقّاً لأكتبَ قصّتي الأولى، قرأها أستاذ اللغة العربيّة في الإذاعة المدرسيّة، فانبهر وصفّق الطلاب والمعلّمون جميعاً، عندها شعرتُ بقوة الكلمة، وأنَّ لديَّ سلاحي الخاصّ الذي سأقاتلُ به إلى آخر العمر.

الاندماجُ بالوسط الثقافيّ

لم أشعر بالاغتراب عن الوسط الثقافيّ؛ بسبب إقامتي خارج العاصمة، معقل العمل الثقافيّ، وذلك مردّه لوجود عدد كبير من المكتبات العامة التي أسّستها وزارة الثقافة في مناطق كثيرة من المحافظة، ورفدتها بأعمال الكُتّاب المحلّيّين، لا سيما إصدارات وزارة الثقافة نفسها، فكان أول ما اطّلعتُ عليه أدبنا المحلّيّ، ومن هناك عرفتُ وقرأتُ أعمال سلطان الزغول، وعمار الجنيدي، وآخرين كان لوجودهم ومشاركتهم في الأعمال الثقافيّة في المحافظة حافزٌ لي، وأملٌ كبيرٌ للاستمرار في هذا الدرب.

البداية كانت مع ديوان (في تشييع صديقي.. الموت) للشاعر سلطان الزغول، سرّني العنوان والغلاف، وغصتُ عميقاً في قصائده، هذا الديوان حرّر طاقةً كامنةً في روحي، ولعلّه ساهم في المنحى الذي اتّجهت إليه كتاباتي الأولى.

عجلون حالةٌ خاصّةٌ

أحبُّ عجلون، أحبُّ حجارةَ قلعتها، أحبُّ أسوارها، أحبُّ جبالها وأوديتها، والينابيع التي تتفجّر كلّ شتاء، وفي كلّ مرّةٍ أزورها أشعر كما لو أنّها المرة الأولى، أحبُّ مساجدها وكنائسها، هنا لامس القائد عزّ الدين أسامة صخورها، وصعد أعلى جبالها، وضمر في نفسه: حريٌّ بي أن أحرسها.

هنا وُلِدَ النبيّ إيليا الذي أسرتني قصته، هل حقّاً تعب؟ هل اشتاق؟ كيف عرف ساعة رحيله؟ وعندما ركب عربةً من نار تجرّها الخيول، هل ألقى نظرته الأخيرة على عجلون وذرف دمعه؟

لكن، هل أثّر بُعد المحافظة عن العاصمة كمركز ثقافيّ على نشاطي الثقافيّ؟ لا بدّ أن يكون لبُعد المحافظة عن العاصمة أثرٌ على كثافة الأنشطة الثقافيّة ونوعيّتها، لا سيما أنَّ كثيراً من مثقّفي المحافظة وكُتّابها يتواجدون خارجها أصلاً، إمّا لأنّهم يُقيمون خارجها، أو لأنّهم يضطرّون لمغادرتها على نحو شبه يوميّ؛ لارتباطهم بوظائف خارجها، لكنّني هنا أشيد بدور مديريّة الثقافة، وفرع رابطة الكُتّاب الأردنيّين في دفع عجلة الثقافة والإبداع في المحافظة، والسعي لخلق بيئة حاضنة تُجاري بيئةَ العاصمةِ كمعقل للعمل الثقافيّ، وتتفوّق عليها في بعض الأحيان.

وإذا ذكرنا أثرَ المكان وموقعه قرباً وبعداً عن المركز، لا بدّ من الحديث عن ثورة حقيقيّة أحدثتها مواقعُ التواصل الاجتماعيّ في عالم الكتابة، حيث أذابت الحدود، وألغت المسافات، حتى إنَّ كثيراً من الكُتّاب لم يعودوا يُفكّرون بالنشر ورقيّاً، واكتفَوْا بالنشر على صفحات مواقع التواصل، هذه الثورة أسقطت الحاجز بين القارئ وصاحب العمل، صار بإمكانك أن تُحادثه وتترك تعليقك وملاحظاتك مباشرة على عمله المنشور هناك.

ساهم هذا التطوّرُ الهائلُ في التعارف وتخطّي حدود النشر ضمن حيّز ضيّق، هو حدود ما يصله كتابك، وكان له دورٌ كبيرٌ في تجاوز الحواجز القديمة التي ظلّت تُعيق التواصل، ومع أنّني أُفضّلُ النشر ورقيّاً، وأرى أنَّ لهذه الثورة تأثيراً عكسيّاً على المبدع نفسه، الذي سيجد نفسه في ورطة ضمن هذه المعمعة، لكنّي لا أُنكر أنّني تعرّفتُ على قُرّاء وكُتّاب من مختلف البلدان، وتبادلنا التجارب والخبرات الصغيرة، ونشرتُ في مواقع وصحف في بلدان بعيدة، مثل السودان والمغرب ولبنان وغيرها.

تمتلك محافظةُ عجلون إرثاً ثقافيّاً مهمّاً وخاصّاً، كما ينتمي إليها أو يُقيم فيها كُتّابٌ وشعراءُ مهمّون، كلّ ما ينقصها هو بعض الاهتمام في جودة الأنشطة الثقافيّة المطروحة، وعدم الوقوع في فخّ التكرار، وهذا يتطلّب إشراك المبدع نفسه في اختيار الأنشطة وتنظيمها، والأخذ برأيه في مساراتها واتّجاهاتها، كانت عجلونُ – وتظلّ إلى الأبد – حالةً خاصّةً من الجمال والإبداع والغنى.

بلدة عنجرة/ الأردن

عجلون.. عنجرة

حيثُ يلتقي الأدبُ بالتراث والطبيعة

الدكتور بشار الزغول

في قلب عجلون، حيثُ تتربّع عنجرة بين الجبال والغابات الخضراء، يكمن عالَمٌ مفعمٌ بالثقافة والتاريخ والجمال الطبيعيّ. كطبيبٍ وشاعرٍ وجدتُ في هذه المحافظة مصدرَ إلهامٍ لا ينضب، حيث تتداخل الطبيعة والتاريخ؛ لتُشكِّلَ خلفيّةً غنيّةً لأعمالي الأدبيّة، قلتُ في ما قلت:

عينٌ جَرَتْ فتفجّرَتْ أشعاري ... وتوهّجَتْ نارُ الجمالِ وناري

وتربَّعَتْ بينَ الجبال حبيبتي ... ورمَتْ فؤادي بالهوى الغدّارِ

عجلونُ ساحرتي سبَتْ لي مُهجتي ... من حُسنِها قد ذبتُ في أطماري

عجلونُ بمناظرها الطبيعيّة الخلّابة وتراثها العريق، تُعَدّ حاضنةً ثقافيّةً واجتماعيّةً فريدةً، لطالما شكّلت الطبيعةُ الغنيّةُ والتاريخُ العميقُ لهذه المنطقةِ مصدرَ إلهامٍ لكتاباتي، من خلال قصائدي أحاولُ نقلَ جمال عجلونٍ وعنجرة، مستكشفًا كيف تتجسّد العلاقة بين الإنسان والطبيعة والتاريخ في الأدب.

أمّا تاريخ عجلون الغنيّ، بما في ذلك قلعتها الشهيرة وتراثها الثقافيّ، ودماء الشهداء التي روت ترابها، فله تأثيرٌ بالغٌ على كتاباتي. تعودُ جذورُ القصص إلى هذه الأرض، وهي تمنح الأعمالَ الأدبيّةَ بُعدًا تاريخيًا وعمقًا ثقافيًا، كتابتي تحاول أن تكون جسرًا بين الماضي والمستقبل، مُستلهمةً من التاريخ لمعالجة قضايا الحاضر.

بالرغم من جمالها وثرائها، تواجه عجلون تحدّياتٍ بسبب بُعدها عن العاصمة كمركز ثقافيّ رئيسيّ، هذا البُعد يمكن أن يحدّ من الفرص الثقافيّة المتاحة، لكن بفضل العزيمة والإصرار، استطاع كثيرٌ من كُتّاب عجلون تجاوز هذه العقبات، مستخدمين الطبيعة والتاريخ الغنيّ للمنطقة كمصادر إلهام لا ينضب، وعلى الرّغم من التحدّيات، يظلّ البُعد عن العاصمة دافعًا للتفرّد والأصالة في الكتابة، ما يجعل الأعمال الأدبيّة النابعة من عجلون وعنجرة فريدةً ومتميّزةً بغناها الثقافيّ والطبيعيّ.

لكن في عصر ثورة الاتصالات، فتح الإنترنتُ آفاقًا جديدةً أمامي لتجاوز حدود عجلون الجغرافيّة نحو الفضاء الثقافيّ العربيّ والعالميّ، أصبح بإمكاني نشر أعمالي على منصّات متعدّدة، متواصلاً مع قُرّاء وكُتّاب من كلّ أنحاء الوطن العربيّ والعالم، هذا التواصل الرّقميّ لم يُقدِّم لي فقط منصّةً للتواصل، بل أتاح أيضًا فرصةً لتبادل الأفكار والتجارب مع مجتمعات أدبيّة متنوّعة، ما أغنى التجربة الأدبيّة ووسّع من آفاق كتاباتي.

على الرغم من الإمكانات الكبيرة لعجلون وعنجرة كمراكز ثقافيّة، لا تزال هناك حاجة لتفعيل الحراك الثقافيّ بشكل أكبر، فما ينقص المحافظة هو بعض البنى التحتيّة الثقافيّة، مثل مراكز الفنون والمكتبات العامة، التي من شأنها أن تُعزِّز الأنشطة الثقافيّة، وتدعم المواهب الأدبيّة.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن للتعاون بين الكُتّاب والفنّانين المحلّيّين والسلطات المحليّة في تنظيم مهرجانات ثقافيّة من وحي ثقافتنا العربيّة والإسلاميّة، وورش عمل أدبيّة، أن يُعزّز الحراكَ الثقافيَّ في المحافظة. من أهمّ العوامل كذلك، مناخ الحرّيّة في التعبير عن الرأي دون تضييق، وفتح الطريق أمام الكُتّاب والأدباء، سواء في عجلون أو في الأردن بشكل عام؛ ليُعبّروا عن مكنوناتهم وآمالهم وأحلامهم دون قيود.

عجلون وعنجرة بتاريخهما العريق وطبيعتهما الخلّابة، ليستا مجرّد مواقع جغرافيّة، بل هما مصدر إلهام لا ينضب، يُغذّي الروح والقلم، ففي كلّ جبل وواد قصة تنتظر أن تُروى، وفي كلّ زاوية من تاريخهما، درس ينتظر أن يُتعلَّم، البُعد عن العاصمة والتحدّيات الثقافيّة لم تكن سوى دافع للإبداع والتميّز، مع إيمان راسخ بأنَّ ثورة الاتصالات قد فتحت الأبواب على مصراعيها للأصوات القادمة من عجلون؛ لتصل إلى العالميّة، مُتخطّيةً الحدود والجغرافيا، لقد أصبح العالَمُ الآن قريةً صغيرةً، وأصواتنا قادرة على الوصول إلى أبعد الأماكن، ومشاركة تجربتنا الفريدة وثقافتنا الغنيّة مع العالم.

الإنترنت كأداة لثورة الاتصالات، لم يُتِحْ لنا التواصل مع الفضاء الثقافيّ العربيّ والعالميّ حسب، بل ساعدنا أيضًا في تجاوز كثير من التحدّيات اللوجستيّة والثقافيّة، لقد أتاح للكُتّاب والشعراء في عجلون وعنجرة فرصةً للمشاركة

بفعاليّة في حوارات ومناقشات ثقافيّة، وكذلك نشر أعمالهم على نطاق أوسع، ما يسهم في إثراء الثقافة الأدبيّة المحلّيّة والعربيّة.

وحتى يتمّ تفعيل الحراك الثقافيّ في عجلون وعنجرة بشكل أكبر، هناك حاجة للتعاون المستمرّ بين الكُتّاب والفنّانين والمؤسسات الثقافيّة؛ لتأمين المزيد من الفرص والمنابر للمواهب الأدبيّة والفنّيّة، من خلال الاستثمار في البنية التحتيّة الثقافيّة، وتنظيم فعاليات تُعزّز التبادل الثقافيّ والأدبيّ، يمكن لعجلون وعنجرة أن تصبحا مركزَيْ إشعاع ثقافيّ، ليس فقط على المستوى المحلّيّ، بل على الصعيدين العربيّ والدوليّ.

في الختام تبقى عجلون وعنجرة بمثابة مصدر إلهام لا ينضب لي ككاتب وشاعر، ففي كلّ مرّة أنظر فيها إلى الجبال الشامخة والوديان الخضراء، أجد فيها قصةً جديدةً تنتظر أن تُروى، وشعراً ينبعث من أعماق التاريخ والطبيعة.

إنَّها دعوة لكلّ مَنْ يحمل في قلبه شغف الكتابة والأدب؛ ليستمدّ من هذه الأرض الخصبة إلهامه، مساهماً في تقديم صورة مُشرقة وغنيّة عن ثقافتنا وتراثنا العظيم، فعجلون وعنجرة، بكل ما تحملانه من جمال وتاريخ، تظلّان شاهدتين على قوة الطبيعة والإنسان في خلق أعمال أدبيّة تتجاوز حدود الزمان والمكان، موصلةً رسالة الأدب والثقافة من قلب الأردن إلى العالم.

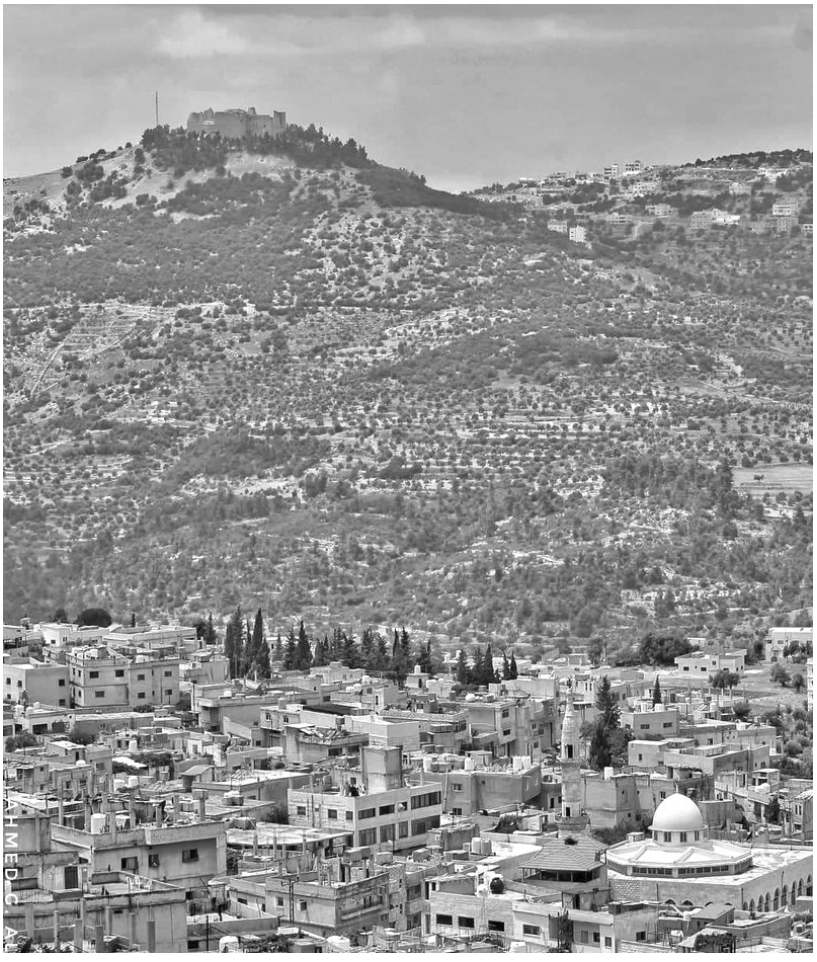

مدينة عجلون/ الأردن

قلعة عجلون/ الأردن

عجلونُ مُلهِـمةُ الإبداع..
تجربتي نموذجًا

الدكتورة سامرة أحمد المومني

عجلون مدينـةٌ عريقـةٌ، ذاتُ آثارٍ قديمـةٍ، تحكي قصـة إبداع لها آثار تمتدّ مـن عهـد عـزّ الديـن أسـامة، في زمـن صـلاح الديـن الأيوبـيّ، الـذي يعـود لـه الفضـل في بنـاء قلعـة عجلـون ذات الهندسـة البديعـة الحصينـة، الواقعـة علـى إحـدى تـلال مدينـة عجلـون مـن الجهـة الغربيّـة المُشـرفة بموقعهـا الإسـتراتيجيّ، والمُطلّـة علـى الضّفـة الغربيّـة مـن نهـر الأردن.

في هذه المدينة كثيرٌ من الآثار القديمة، من أبرزها مسجد عجلون الكبير، الذي احتلّ مكانةً مرموقةً ومنزلةً رفيعةً؛ ببنائه المعماريّ الجميل والبديع، إلى أن نال إعجاباً عالميّاً، فأُدرِجَ على لائحة تراث العالم الإسلاميّ عام 2023، الأمر الذي أهَّلها لتعكس التنوّع الحضاريّ والدينيّ. وقد كتب الرَّحّالةُ الشهير ابن بطوطة في كتابه (تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) عن عجلون قائلاً: «ثم سافرتُ منها - أي نابلس - إلى مدينة عجلون، وهي مدينة حسنة، لها أسواق كثيرة، وقلعة خطيرة، ويشقّها نهر ماؤه عذب».

قرب هذه المدينة العريقة نشأتُ وترعرعتُ، أمّا البدايات الأولى لعهدي بالكتابة، فتعود إلى عام 2010، كنتُ وقتها طالبة ماجستير في قسم مناهج الدراسات الاجتماعيّة وأساليب تدريسها في جامعة اليرموك، وبدأت بكتابة القصائد، والمشاركة في أمسيات أدبيّة في فرع رابطة الكُتّاب بإربد، الذي كان يُشجّع كلّ المبدعين الشباب، ويحتضن مواهبهم.

بعد ذلك شاركتُ في مسابقة إبداعات عجلونيّة، فور أن أعلنَتْ عنها مديريّةُ ثقافة عجلون، ووجدتُ تشجيعاً من مديرها الأستاذ سامر فريحات، والدكتور سلطان الزغول الذي كان مُشرفاً على المسابقة، وحظيتُ بالمرتبة الثالثة عن قصّتي الأولى الموسومة بـ(ولادة نجم جديد)، ومن هنا بدأتُ رحلتي في كتابة القصص، كنتُ أكتب ذاكرتي لأحفظَ المواقف والأحداث والشعور زمناً أطول مع تزاحم التقنيات الحديثة في حياتنا، وكنتُ أكتب عن الناس من حولي، أكتب همومهم ومعاناتهم، وأتبنّى قضاياهم، الرجل والمرأة.

أمّا المُنجَزُ الثاني في مسيرتي الأدبيّة، فكان قصة (رائحة الموت)، وهي قصة حقيقيّة تصف الأيام الأخيرة في حياة شقيقي الأصغر، ولحظات موته المُفجع، واشتركتُ بها في مسابقة إبداعات عجلونيّة في موسمها الثاني عام 2011، حيث فازت بالمرتبة الثانية. ثم أصدرتُ في عام 2018 مجموعتي القصصيّة الأولى المُعنونة بـ (ثرثرة الموت)، وفي عام2020 فازت قصتي (ماريا) بالمرتبة الثالثة على مستوى الوطن العربيّ في مسابقة صلاح هلال الأدبيّة.

وفي عام 2022 صدر لي كتاب (الدلالات والقيم في الأمثال الشعبيّة)، بمشاركة صديقتي الدكتورة ناهدة المومني، ثم أصدرتُ عام 2023 كتابين، الأول بعنوان (دراسات تحليليّة في ظاهرة البطالة في الأردن)، والثاني مجموعتي القصصيّة (أسميتها مريم) بدعم من وزارة الثقافة الأردنيّة.

يُعَدُّ المكان بجغرافيّته وما يحويه من أحداث وأفعال، مصدراً من مصادر إلهام الأدباء المبدعين؛ لأنّه الوعاء الذي تجري على أرضه الأحداث والمساجلات والمناكفات، فيستلهمُ الأديبُ مادّته، ويُحلِّقُ في عالم الخيال، ومكاني هو عالمي الصغير الدافئ، أيّاً كان ذلك المكان الذي أعيش فيه، بتفاصيله الصغيرة والكبيرة، خاصة أنَّ البيئة العجلونيّة فائقة الجمال، وطبيعتها الخضراء ساحرة، فالضّباب المتدفّق في أغلب فصول السنة، والمطر وأصوات الريح، تعزف سيمفونيّة شتاء صارخة، هي ما شدّني كثيراً للكتابة.

وقد حضر المكانُ حضوراً قويّاً في مجموعتي القصصيّة الثانية (أسميتها مريم)، خاصة تلك المدينة التي نشأتُ على ترابها، وترعرعتُ بين جبالها الشامخة وأشجارها باسقة الظلال.

عجلون مدينةٌ أثيرةٌ على قلبي، تسكن وجداني وأسكن طبيعتها الخلّابة الجاذبة والساحرة في كلّ الفصول، جبل عوف، وقرية عبلين، والضباب الذي يلفّها في تموز، والطبيعة الخضراء المفعمة، وأشجار التين والعنب. أمّا مكاني الأثير الآخر الذي عشقتُهُ، وعشتُ تفاصيل مراحل دراستي الأولى والثانية والثالثة في ربوعه، فهو جامعتي (جامعة اليرموك)، التي إليها يعود الفضلُ في تشكيل ذاتي وشخصيّتي وكياني، فنهلتُ من مكتبتها وقاعاتها علوماً ومعارفَ، وألهمتني في كثير من تفاصيل حياتي، وفتحت أمامي نوافذ جديدة أُطِلُّ من خلالها على عالم الدراسات والقضايا الاجتماعيّة، وعالم التقنيات الكتابيّة والحداثة، فكان لهذا حضور بارز في مجموعتي القصصية الثانية (أسميتها مريم).

عجلون مدينةٌ نابضةٌ بالجمال والثقافة والأدب، من خلال ما تسهم به مديريّة ثقافة عجلون والجمعيّات ذات الصلة بالمشهد الثقافيّ المتنوّع، والفعاليّات والندوات الثقافيّة والفنّيّة والأدبيّة، والتربويّة والاجتماعيّة والسياسيّة على مدار العام، بمشاركة كبيرة وواسعة من كلّ فئات المجتمع المهتمّين بالعلم والثقافة والأدب والفنّ.

وعلى الرّغم من الاهتمام الكبير بمجريات الأدب والفنّ والثقافة، فإنَّ بُعدَ مدينةِ عجلون عن العاصمة عمّان، غيّب وانتقص من استفادتها من كثير من الفعاليّات الثقافيّة التي تُقام في العاصمة، وقد تسهم بعض الاقتراحات في توسيع نطاق الفعاليّات الثقافيّة على مستوى محافظة عجلون، وربطها بالعاصمة عمّان والمحافظات الأخرى.

ومن هنا أقترح تأمين المواصلات من عجلون إلى عمان وبالعكس، في حال وجود فعاليّات كبيرة محلّيّة وعربيّة وأجنبيّة، وبذلك تتمّ الاستفادة من طبيعة عجلون الجبليّة الساحرة الملهمة بغاباتها وساحة قلعتها، في تنظيم فعاليّات فنّيّة متنوّعة، كاستضافة الفرق الموسيقيّة، ومعارض الفنّ التشكيليّ، ومعارض التراث، واستضافة الكُتّاب العرب والأجانب للتبادل الثقافيّ خارج حدود المركز، بإتاحة الفرصة لهم للتمتّع بجمال عجلون والكتابة عنها في كتبهم، والتغنّي بها في قصائدهم.

إضافة إلى إقامة معارض الكتاب السنويّة، وحفلات إشهار الكتب لكُتّاب عجلون ومحافظات المملكة كلّها في أروقة قلعة عجلون وساحتها، والتغطية الإعلاميّة المستمرّة المواكبة للفعاليات الثقافيّة والأدبيّة والتراثيّة في المحافظة، والتشجيع على إقامة مسابقات سنويّة تشمل فئات المجتمع جميعها من مختلف الأعمار، في صنوف الأدب كافة: (قصة، ورواية، وشعر، ورسم، وكاريكاتور)؛ للكشف عن المواهب الشابّة واحتضانها وتشجيعها، والبحث عن إمكانيّة تحويل القصص والروايات الجاذبة والناجحة، ذات المحتوى الهادف، إلى أفلام قصيرة ومسلسلات بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المحلّيّ، وتفعيل دور المسرح في المدارس والكلّيّات والجامعات.

لعلّ بُعد العاصمة عمّان عن محافظة عجلون، يُشكّل عائقاً أمام توسّع المشهد الثقافيّ، عبر مشاركة الكُتّاب والأدباء والشّعراء العجلونيّين في حضور الاحتفالات والمناسبات، والفعاليّات والنشاطات التي تُقام في العاصمة عمّان، وكنتُ شخصيّاً أصبو إلى المشاركة في تلك الندوات العمّانيّة، ولكن لم أكن على تواصل دائم بسبب تلك الإشكاليّة، لكن في بعض الأحيان كنتُ أستعين بمواقع التواصل الاجتماعيّ، بمشاهدة حيّة لبعض الفعاليات الأدبيّة والثقافيّة على منصة زووم والبث المباشر على (الفيس بوك).

كان لمواقع التواصل الاجتماعيّ (الفيس بوك، والواتساب) دور كبير في التعريف بنفسي كاتبةً وباحثةً في ميدان الدراسات الاجتماعيّة، ما ساعدني بالتعرّف على كثير من الكُتّاب والأدباء والنقّاد، والاستفادة من أدبهم وكتبهم، مثل بعض الكُتّاب العالميّين، أوروبيّين وعرب، وبعض الروائيّين الأردنيّين الذين أثروا مسيرتي، خاصة الروائيّ هزاع البراري، الذي أثّرت كتاباته في بعض القصص التي كتبتُها، والروائيّ المبدع جلال برجس، ناهيك عن قيام بعض النقّاد المبدعين بقراءات نقديّة لمجموعاتي القصصيّة، وهذه القراءات التي تمّت نتيجة التواصل عبر الشبكة العنكبوتيّة، نُشِرَت في مجلّات أدبيّة دوليّة ومرموقة.

وختاماً فإنّني أرنو إلى تذليل العقبات التي تحول بين الكتّاب والأدباء، والمشاركة الفاعلة في الفعاليّات العلميّة والندوات الثقافيّة والوطنيّة التي تقام في العاصمة عمّان؛ لإبراز التنوّع المعرفيّ والثقافيّ القادم من محافظات المملكة وألويتها، والتأثّر والتأثير بما يدور في أروقة تلك الفعاليّات والنشاطات.

قلعة عجلون/ الأردن

سحر ملص

ملتقى الأجيال

سحر ملص

حنين رياض

سحر ملص وحنين رياض

كاتبتان على طاولة (صوت الجيل)

حاورتها: حنين رياض

سحر ملص..
أحلُمُ بالكتابةِ منذُ الطفولة

حاورتها: حنين رياض

في هذا العدد من مجلة (صوت الجيل) نلتقي بالكاتبة الأردنيّة سحر ياسين ملص، المولودة في مدينة دمشق في سوريا، في الثاني عشر من شهر أبريل عام 1958، ودرست المراحل التعليميّة قبل الجامعيّة في الأردن، ثم التحقت بجامعة دمشق، وحصلت على شهادة البكالوريوس في علم الصيدلة عام 1979، وحصلت على دبلوم دراسات عليا في التأهيل التربويّ من كلّيّة التربية في الجامعة الأردنيّة عام 1987.

تُتقن بالإضافة الى اللغة العربيّة اللغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة، وعملت رئيسةً لقسم المهن الطبّيّة المساعدة في كلّيّة المجتمع الأردنيّ، ومُدرِّسةً للموادّ الصيدلانيّة في الكلّيّة العربيّة، والكلّيّة الوطنيّة، وكلّيّة المجتمع الأردنيّ. ساهمت في تأليف المناهج المدرسيّة، ولها العديد من المؤلَّفات الأدبيّة والعلميّة، ونُشِرت لها العديد من المقالات في الصحف والمجلات الأردنيّة والعربيّة.

وهي عضو في نقابة الصيادلة الأردنيّين، ورابطة الكُتّاب الأردنيّين، واتّحاد الكُتّاب والأدباء العرب، والجمعيّة العربيّة للتوعية من العقاقير الخطرة والمُخدِّرات، تشغل منصب نائب المدير التنفيذيّ في منتدى الرّوّاد الكبار في الأردن، وتُدير العديد من الندوات والأمسيات الثقافيّة.

نُشِرَت لها ثلاث روايات: (العين الزجاجية) عام 2012، و(مطارح) عام 2014، و(الصندوق الأسود) عام 2023، ولها عدد كبير من المجموعات القصصيّة، منها: (شقائق النعمان) عام 1989، و(إكليل الجبل) عام 1990، و(ضجة النورس) عام 1991، و(أختي السّرّيّة) عام 2005، و(معطف أمّي) عام 2014.

حصلت على جائزة القصة القصيرة للأدباء الشباب من رابطة الكُتّاب الأردنيّين عام 1987، وجائزة الملكة نور لأدب الطفل التعليميّ من مؤسّسة نور الحسين سنة 1997؛ لقاء كتابها (محطّات في عالم الدواء)، كما نالت في الدراما الإذاعيّة المُعَدّة الجائزةَ الفضّيّة عن قصّتها (بائع الأنتيكة)، من مهرجان الإذاعة العربيّة في تونس سنة 2001، وفي ما يلي وقائع الحوار:

• ما الذي دفعكِ للكتابة ودخول عالم الأدب؟

العالَمُ المتناقض، صراعُ الحقّ والباطل، والظلم الواقع من بعض البشر على الآخرين، والبحث عن الجمال والعالَم المثاليّ، كلّ هذه العوامل شكّلت في نفسي دوافعَ نفسيّةً كي أكونَ كاتبةً، ولكنَّ الكتابة تحتاج إلى موهبة، وثمّة قدر علويّ يُحرِّكُ الإنسان تجاه طريقه ومصيره، فبذرة الإبداع تولد مع الإنسان، لكنَّها تحتاج إلى رعاية، ولذلك عليه أن يُمسك بخيوطها ويسقيها من روافد الحياة والثقافة والفكر، والخوض في معترك الحياة وتجاربها، كلّ ذلك دوافع ومُحرِّكات للإبداع.

أعترفُ بأنّني منذ الطفولة كان حلمي أن أصبح كاتبةً أو مُصلِحةً اجتماعيّةً، فكنتُ أظنُّ أنَّ تغيير حياة الناس للأفضل هي رسالة إنسانيّة سامية، ولكن في ما بعد اكتشفتُ أنَّ الحياة بكلّ جبروتها وقوتها وهيمنة الطغاة فيها، غير قابلة للتغيّر عبر الكلمة إلّا من قبل أولي العزم من الأنبياء والرّسل، ولذلك أشعلتُ مجرّد شمعة وحملتُها.

• ما هي الصّعوبات التي واجهتكِ في بداياتك؟ وما هي علاقتك مع القلم الآن؟

– فعليًّا لم أواجه صعوبات في الكتابة من خلال أسرتي، إذ إنّي تربّيتُ في بيتٍ يحترم الثقافة ويُعزّزها، فأمّي – رحمها الله – كانت قد حصلت على الشهادة الإعداديّة، وتحفظ الشعر، وكانت متحدِّثةً لبقةً، لا يخلو حديثها من الاستشهاد بمثل، أو قصة، أو بيت من الشِّعر، وكذلك كان أبي الرجل الحكيم المُحنَّك، الذي كان مولعاً بسرد القصص أثناء حديثه، وهو القاصّ الأول في حياتي.

ربما كانت الصعوبة الأولى حين نشرتُ مجموعتي القصصيّة الأولى (شقائق النعمان)، إذ ثمّة مَنْ تصيد في الماء العكر، مع أنّها لاقت رواجًا كبيرًا بين النّقّاد. أما عن علاقتي مع القلم الآن، بصراحة بات قهرُ طغاة الأرض، وما يجري في العالم، أكبرَ بكثيرٍ من أن يُغيِّرَه القلم أو أن يُعبِّرَ عنه.

• ما العملُ الأقربُ إلى قلبك من أعمالك؟ ولماذا؟

– لكلّ عملٍ أدبيّ ارتباطٌ من نوع خاصّ بقلب كاتبه، ولكن بالنسبة لي يظلُّ عملي الأقرب إلى نفسي مجموعتي الأولى (شقائق النعمان)، التي حملت الكثير من شحنات الألم والغضب، واندفاع عنفوان الشباب، وهي بمثابة طفلي الأول، وعندما صدرت واستلمتُ نسختها الأولى، حملتُها وذهبتُ للغابة، حيث ثمّة شجرة صنوبر محنوّة الظهر، كنتُ أجلس عندها وأعانقها على أنّها أمّي، هناك جلستُ تحت جذعها، ورحتُ أقرأ لها بعض ما كتبت، ربما كي تبارك عملي الإبداعيّ الأول، وربما ليكون نسغ الشجرة أول مَنْ يستمع لكلماتي حتى تتسرّب إلى التراب، وتنبت الأرض دحنوناً وعشباً، بعد ذلك عدتُ إلى بيتي، وقدّمتُ النسخة الأولى من كتابي لأمّي، أعظم امرأة في حياتي.

• من بين رواياتك الثلاث: (العين الزجاجية) عام 2012، و(مطارح) عام 2014، و(الصندوق الأسود) عام 2022، أيّ واحدة كانت الأكثر نهجاً للواقعيّة؟

– رواية الصندوق الأسود هي الأكثر نهجاً للواقعيّة، حيث تناولتُ من خلالها موضوع حرّاس العمارات الوافدين في بلدنا، وتطرّقتُ إلى ما ينتج عن ذلك من إشكالات ومشاكل عديدة نحن في غنى عنها، فقد تتبّعتُ أحوال سكّان العمارة التي يعمل بها الحارس، وكيف كان يتلصّصُ على حياتهم في الخفاء، ويتتبّع أسرارهم.

أمّا عن رواية العين الزجاجيّة، التي تجري أحداثها ما بين مدينة دمشق في الزمن الماضي وعمّان، فقد حملَتِ الكثيرَ من الخيال والأساطير والجان، بحيث امتزج الواقع بالخيال. كذلك رواية مطارح، التي تدور أحداثها في مدينة حمص، وتوغل في تاريخها وموروثها الشعبيّ، فهي تحمل الكثير من الغرائبيّة والعجائبيّة، وعالَم الجنّ والأساطير، إضافة الى حياة شاعرها ديك الجن، ومأساة حبّه وقتله لحبيبته ورد، وكلّ ذلك يتداخل في عالم المرأة والمكائد، من خلال حبكة روائيّة تُراوح ما بين الواقع والخيال.

• من أكثر القضايا التي أوليتِها اهتمامًا في مؤلفاتك، قضية المرأة وما تعانيه من عقبات ومعيقات، وإشكالات مختلفة، ما سبب تسليطك الضّوء على هذه القضية بالذات؟

– أنا ضدّ كلّ ظلم يقع على مخلوق في هذه الحياة، ودافعتُ عن عدد من القضايا الإنسانيّة من خلال كتاباتي، ولكنّي ركّزتُ على معاناة المرأة؛ لأنّي امرأة أولاً، وأدركُ ما تعانيه النساء في مجتمعات ذكوريّة تجعل النظرة إليها على أنّها في المرتبة الثانية، لذلك لمستُ معاناتها في مختلف مواقعها، كأمّ وزوجة ومربّية وعاملة، وعشتُ مراحل حياة المرأة المختلفة من الطفولة إلى الكهولة، لذلك عندما تكون المرأة حرّة قادرة على الاختيار وشقّ طريقها، ستُنشئ أسرة واعية فاعلة.

إنَّ من أبسط حقوقها التي تُستلب منها أحياناً، حقّ التعليم، والعمل، واختيار الزوج، والملكيّة الخاصّة، وحقّها في الميراث، وللأسف إنَّ بعض هذه الحقوق مُغيَّبة عن عالم المرأة، والحقوق عادةً لا تُمنح، وإنّما تُنتزع في هذا العالَم الذي بات يتغوّلُ على الإنسان بأشكال مختلفة.

• بدأتِ مشوارَكِ الأدبيّ في كتابة القصة، ولديكِ العديد من الإصدارات في هذا المجال، ثم انتقلتِ إلى كتابة الرواية، ما الدافع وراء هذا الانتقال؟ هل هو الإقبال الكبير على الرواية عند جمهور القُرّاء؟ أم لأنَّ الرواية تُتيح للكاتب مساحة أكبر لإيصال رسالته؟ أم أنَّ هنالك دافعًا آخر؟

– فعلاً بدأتُ بكتابة القصة، لكنَّ المؤلَّف الثالث (إكليل الجبل) كان عبارة عن قصة طويلة تتحدّث عن الانتفاضة، وهي أقرب للرواية، وقد أثنى عليها الناقد الراحل أحمد المصلح. المهمّ أنَّ العمل الأدبيّ يفرض نفسه، ويُحدّد نوعه، سواء أكان قصة قصيرة أم رواية، إذ لكلّ لونٍ متطلّباته الخاصة، فالرواية تحتاج لفضاء واسع وأزمنة مختلفة وشخصيات لا تحتملها القصة القصيرة، التي تُسلِّطُ الضّوء على برهة أو موقف، لذلك أقول لم أكتب الرواية، ولن أكتبها إرضاءً لذائقة الجمهور الذي يُفضّل الرواية على القصة، بل هو ما يفرضه العمل الإبداعيّ من لون يتناسب مع الفكرة المطروحة.

• ما طقوسك في الكتابة؟
وكيف توفِّقين بين حياتك الأُسريّة والتأليف؟

– الكتابةُ دفقةٌ حارّةٌ تنتاب المبدع، لا وقت لها، وهي أشبه بحالة المخاض، إذ بعد أن يلتقطَ اللاوعي عند المبدع نواةَ الإبداع، تتخمّر في رأسه الفكرة وتنضج، إلى أن تحين ساعة ولادة العمل الإبداعيّ، لذلك لا طقوس خاصّة إلّا في حالة الترتيب للعمليّة الكتابيّة، إذ طالما كتبتُ قصّةً وأنا في محاضرة في الجامعة.

وفي مرّةٍ كتبتُ قصّةً بعنوان (مدينة الرماد) وأنا أراقب طلبتي أثناء أدائهم الامتحان، وقد أوقفتُ عربتي جانب الطريق لأكتب، لكن بصراحة الكتابة الروائيّة تحتاج لعزلة وتركيز خاصّ، وحتى القصص والخواطر والأفكار المفاجئة، كلّها تحتاج إلى إعادة النظر فيها في ما بعد؛ لترتيبها وتشذيبها.

أمّا عن التوفيق ما بين التأليف والحياة الأُسريّة، فأنا أقول عن ذاتي إنّي إنسانة منظّمة في حياتي، ولا يوجد عندي فوضى، كما أعطي حياتي الإنسانيّة حقّها ومتطلباتها في الحياة، كذلك أعطي الإبداع، سواء في القراءة أو التأمّل أو الكتابة، وقد كانت مسيرتي العمليّة والأدبيّة حافلةً والحمد لله.

• كيف تختارين عناوين مؤلفاتك؟ وهل على العنوان أن يُحدِّدَ هُويّة النّصّ وأن يُشير إلى مضمونه؟ أم أنّه عنصر لجذب القُرّاء فقط؟

– تماماً كما تختار الأمّ اسماً لطفلها يتناسب مع شكله وملامح شخصيّته، كذلك أختار عنوان القصة أو الكتاب بما يوحي بمضمونه، وأحياناً أختار عنوان إحدى القصص لتكون عنواناً للمجموعة القصصيّة، إذ تكون تلك القصة الأقرب إلى نفسي، أو إنّها التي تُعبّر عن المحتوى.

• هل على الرّوائيّ أن يكون مُطّلعًا على الأعمال العالميّة بشكل مستمرّ؟ وهل يؤثّر ذلك في إبداعه؟

– الاطّلاع على الأعمال الأدبيّة العالميّة أمرٌ هامّ للمبدع، وكذلك القراءة؛ لأنَّ ذلك يفتح آفاقاً مختلفةً وجديدةً تُنمّي الأسلوب والمقدرة، لكن بصراحة من الصعب المتابعة المستمرّة لكلّ ما يصدر، خاصّةً في هذا العصر المنفتح، أكيد هناك بعض المتابعات، لكن يبقى لكلّ كاتب عالمه وبيئته وأسلوبه الخاصّ.

• كيف يمكن أن يتوفّر للكاتب التوازن بين العزلة المُلهمة، وبين التفاعل والاحتكاك مع الطبيعة والحياة بشكل عام من جهة، ومع الجمهور من جهة أخرى من أجل الكتابة؟

– يُمثّل كلُّ ما يمرّ في حياة الكاتب من احتكاك بالناس، ومن تجارب مختلفة، ومن مفردات للحياة، مصدرَ إلهام له، يبني عليها إبداعه، إضافةً إلى مصدر هامّ، ألا وهو الطّبيعة بكلّ ما تحتويه من عوالم مختلفة وأسرار تتكشّف له، كلّ ذلك يُسكَبُ في بوتقة اللاوعي عنده، ويتفاعل مع أعماقه ليُشكِّلَ مادّةً خصبةً للإبداع، إذ إنَّ لحظة الإبداع تشبه لحظة سرقة شعلة بروميثيوس، فهي ومضة خاطفة، لذلك يراوح الكاتب ما بين العالم الواقعيّ، والاحتكاك بالناس، والتفاعل مع الطبيعة؛ ليخلوَ في برهة مع ذاته، ويسكب دفقة الإبداع، نعم، الإبداع يحتاج للعزلة الملهمة؛ كي تنضج في أعماق الكاتب بذرة العمل الأدبيّ الخصبة.

• ما النّصيحةُ التي تُقدِّمينها لكاتب عربيّ مبتدئ؟

– القراءةُ في كلّ المجالات الفكريّة والأدبيّة والدينيّة والاجتماعيّة، ثم التجربة والانصهار في الحياة، ولتكن الكتابة هدفًا أسمى له، إذ إنَّ حمل القلم رسالة، ومن خلاله نبثّ الوعي بين الناس، الكتابة مقدّسة، وليست وسيلة استعراض ولا حبًّا للظهور.

حروفية الفنان وسام شوكت/ العراق

- جسدٌ خشَّنَتْهُ سجونُ المواعيدِ ..... محمد المتيم
- بحرُ إسكندرية ..... إسراء النمر
- يطولُ انتظاري ..... فاطمة الشريف
- حكاياتُ نادلٍ جيّد ..... روند كفارنة
- على وسادة ..... فاطمة محمد الهلالات
- ريتـا ..... تغريد أبو شاور
- طقسٌ شرقيٌّ ..... سامي الخليفات
- نصّـان ..... راما الرجبي
- سجينُ الصَّوت ..... هشام أزكيض
- ستَ عشرةَ قضيةً ..... هدى لؤي

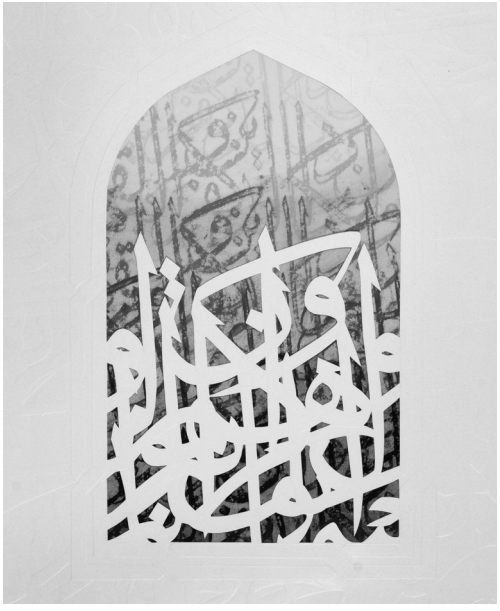

حروفية الفنان فاروق لمبز/ الأردن

جسدٌ خشَّنَتْهُ سجونُ المواعيدِ

محمد المتيم

أُعيذُكِ سيّدتي من مراياىَ
– حطَّمَها العابرونَ –
أُعيذُكِ من صُوَري.

وأُعيذُكِ
من جسدٍ خشَّنَتْهُ سجونُ المواعيدِ
من رنَّةِ الراحلينَ على وتري.

وأعوذُ بوجهِكِ
يؤنِسُني في هروبي من البشرِ.

طَيّري فوق ليلِ الغريبِ بماماتِكِ البِيضَ
طِيري بجسمي الثقيلِ
ارجعي قبل أن يطلُعَ الصبحُ
قبل مرورِ الشكوكِ على خاطرِ الخَفَرِ.

قَبِّليني
قبلَ اصطكاكِ النَّبابيتِ في القلبِ
قبلَ انفراطِ اليواقيتِ
قبلَ انسحابِ المواقيتِ في الضَّجَرِ..

أسنِدي رأسيَ الكوكبَ المُستثارَ
على فخذٍ هادئٍ
واضبِطي ساعةَ القمرِ.

في ذهابي الخجولِ
إلى الليلِ
قد تخجلُ الفأسُ من شجري.

قد تقولينَ لي:
في غدٍ
مددٌ سوف يأتي
لِمَن جالَ في الخطَرِ..

في غدٍ
سوف تصفو السماءُ
لعصفورتينِ وعُشٍّ
وترتقيانِ على سُلَّمِ المطَرِ.

قد تقولينَ لي:
في غدٍ
عاشقان سيعتنقانِ
وينتصرانِ لحظٍّ الأزاميلِ
من كُتلَةِ الحَجَرِ.

في غدٍ
وَيَدًا في يَدٍ
سوف نعبرُ صحراءَ شائكةً
وعيوناً من الشّرَرِ.

قد تقولينَ أو لا تقولينَ
سيّدتي
ضمِّدي..
زمني جارحٌ
وعيوني مؤرجَحَةٌ
وخلاياىَ محضُ شظايا على جبهةِ القَدَرِ.

وأنا ها هنا
جسدٌ خشَّنَتْهُ سجونُ المواعيدِ
أنتِ على خاطري
خطةٌ للهروبِ الأخيرِ إلى العُمُرِ.

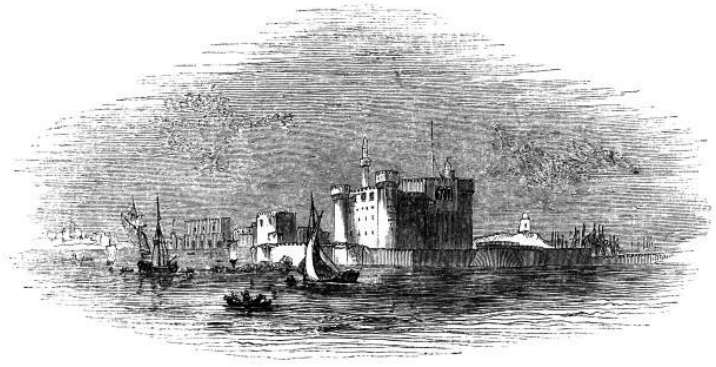

بحرُ إسكندرية

إسراء النمر

أشعرُ دائمًا أنَّ هناك بحرًا وراءَ حائطِ غرفتي

وأنَّ جيوشًا من أسماك البساريا تنتظر مُتأهِّبة

لكي تأكلَني

أشعرُ وهذا من الطفولة

أنَّ كلَّ الذين غرقوا في البحر

ينتظرونني أيضًا خلفَ الحائط

وأنَّ كلَّ طَرْقٍ سمعتُهُ في اللّيل وأنا نائمة

كان صادرًا من أياديهم

أرغبُ وهذا من قريب

أن يكونَ بحرُ إسكندرية هو مَنْ يقفُ وراءَ الحائط

البحرُ الذي شهد القُبلة الأولى التي منحها حبيبي لي

البحرُ الذي بكيتُ أمامَهُ حين تركني حبيبي

وحين أخبروني أنَّ جزءًا من كبدي قد تعفّن

أرغبُ أن يكون كفافيس من بين هؤلاء الغرقى

لكيلا أحتاجَ لزيارةِ بيته كلّما ذهبتُ إلى الإسكندرية

أرغبُ أن يطرقَ الحائط الآن

لأفيقَ بلا خوفٍ.

يطولُ انتظاري

فاطمة الشريف

(حرف الثاء)

التقيتُ بي
لم أكن آلةَ موسيقى
بل كنتُ رجعَ صوتٍ للحنٍ قديم
لم أكن نقطةَ ضوءٍ مصدرُها الشمس
بل كنتُ فراغًا موحشًا يسكنُ الليل
لم أكن طريقًا تؤدّي لشيء
بل كنتُ شارعًا حزينًا في بلدٍ غريب
لم أكن مطرًا يسقط
بل كنتُ صحراءَ ينقصُها الماء
لم أكن شعرًا
بل كنتُ سطرًا في قصيدةٍ لا يقرأها أحد
لم أكن حبًّا
بل كنتُ وجعًا يعصفُ بي
لم أكن فرحًا
بل كنتُ صمتًا وحُلمًا يتيمًا

* * *

(حرف الخاء)

هذا وبعدَ انتظارٍ طويل
سألني العابرُ: أيَّ شيءٍ أنتظر؟
قلتُ: أنتظرُ وردةً تُهدى إليّ.

* * *

(حرف العين)

الحبُّ الذي أحببتُه لرجلٍ ما
يتحدّثُ عنّي
يُشيعُ قصّتي في كلِّ مكان
وينسى أن يُخبرَ مَنْ أحبّ.

* * *

(حرف الظاء)

على الرّصيفِ المقابلِ للقطار
وجدتُ كرسيًّا يُحني رأسه
وذاكرةً تُسجّلُ كلَّ ما يدورُ برأسِ المكان
على الرّصيفِ الآخر
كان زمانٌ آخر
فيه العالمُ يُقلِّمُ أظافرَه
والشّارعُ أكثرُ رقّة

كان زمانًا تتساوى فيه درجاتُ القطار.

* * *

(حرف السين)

لماذا كلّما غفوتُ بحزني حلمتُ بك؟!

حكاياتُ نادلٍ جيّد

روند كفارنة

النـادل الجيّـد الـذي طالـب مالـك المقهـى ألـف مـرّة، حسـنًا ألـف مـرّة تُعَـدّ مبالغـة، ولكنّـه طالبـه كثيـرًا بمسـاعدٍ يكنـس المقهـى ويغلـق أبـواب المقهـى الثلاثـة، يعـرف تمامًـا أنَّ الرجـل الـذي يصنـع القهـوة يسـوق حِججًـا واهيـةً؛ ليهـرب مـن وظيفـة إغـلاق المقهـى وكنـس أرضيّاتـه. النـادل الجيّـد لا يغضـب، لا يصبّ جامَ غضبه على الزّبائن النَّزِقين، قد يعيد طلب القهوة أو ربما يصرخ بوجهه الزّبون لمُجرّد أنَّ القهوة ليست ذات وجه.

حسـنًا مَـنْ يهتـمّ إذا كان روّاد المقهـى أصبحـوا ذوي وجـوه متشـابهة، حتـى إنّـه قـد ينـادي أحدهـم باسـم آخَـرَ، ولكنّـه أيضًـا قـد يغضـب، كنـادل جيّـد كان عليـه ألّا يغضـب أيضًـا، ويقـول فـي نفسـه عبـاراتٍ كثـيرةً ليهـدأ، لئـلّا يقتـلَ زبونًـا وقحًـا يقـول عبـارةً مثـل (النـادل الجيّـد لا يغضـب)، (الـزبـون دائمًـا على حـقّ)، (لا تغضـب، لا تغضـب).

هناك كَمٌّ هائل من الغضب جاهز للانفجار في رأس كلّ نادل جيّد هادئ، لكنّه كان يُجيد عمله، فهو يكنس المقهى آخر الليل من وجع الفراق الذي يُحلِّقُ فوق الطاولات المرصوفة كمجموعة ثكالى تبكي، ويجدّل صوت صرصار الليل، يدّعي أنه جاء من المذياع الذي ما زال يستخدمه مساءً؛ ليستمع روّاد المقهى لصوت أمّ كلثوم.

صورٌ كثيرةٌ لرجالٍ لم يعودوا، هنا وهناك رسمٌ لفنّان كان قد مرّ على المقهى قبل أن يصبح عنوانه شاهد قبر، ورسائل وورود، يقال إنَّ الرسم لحبيبته الوحيدة التي لم تخنه، امرأة سمينة، بعين واحدة، تُمسك سيجارتها بطريقة استعراضيّة، وهناك امرأة تُدخّن، تكره الأخبار، تقول: إنّهم قرّروا مصيرنا، فلماذا يتلون علينا حقوقًا قد سلبوها وقراراتٍ اتُّخِذَت نيابةً عنّا؟! ويُصرون أن نُشاهد دموعًا لا دخل لنا بها، سوى أنّنا نشبه وجوه النساء اللواتي عبرن الأسلاك الشائكة، وهناك امرأة حامل أنجبت قهرًا رجلًا صار يُشبهنا.

النادل الجيّد يدرك أنَّ أصعب جزء من العمل يأتي في نهاية اليوم، حين يضطرّ ليحرمَ الزّبائن من أماكنهم، هل قلتُ زبائن؟ لا يمكن بأيّ حالٍ أن نطلق على العاشق الذي يأتي ليشربَ على طاولته، التي حفر اسمه واسم حبيبته، ويُصرّ أنّه لو كان أكثرَ جراءةً، وتذوّقَتْ قبلته، لكانت علقت به، يحرمه من وهم تملّك مساحة كانت قد احتوتهما أخيرًا، لكنَّه في هذه الليلة يبدو مستعجلًا بالنسبة لنادل جيّد.

يتأنّى بصنع قهوة لعاشقينِ لم يتذوّقا بعدُ طعمَ القبلة الأولى، يتبادلان حديثهما، يهمس بأذنها العاشق وتغيب هي في نوبة خجل، تترك خديها مصبوغين بحمرةٍ. وهناك دموعُ رجلٍ ضيّع العنوان الذي التقطه من المرأة الوحيدة التي أعجبته، كانت تمرّ في الجوار عندما التقط العنوان المُدوَّن على ورقة ركبت الريح، وراحت تسابقه، وحملتها بعيدًا، بينما يُلملم شاعرٌ أوراقه للتوّ، كان يكتب قصيدةً غزليّةً طويلةً عن معنى الليل، وكيف سيعرف الرّجلُ الثَّمِلُ في عيد ميلاد حبيبته تلك التي أرادت أن يكون ثوبُ عرسها من حلب، فدُفِنَتْ وهي تقيسه، يرفع رأسه، يلتفت ثم يصرخ: «في شارع الحصن (شارع في إربد) أثوابٌ أجمل، أخبرتني جارتنا». يحمل قنينته، يلثمها، ثم يتجرّعها مرّةً واحدةً.

يقف يتأمّلهم مرّةً أخيرةً، يُطفئ الضوء ويُخرج الجميع، ثم يُغلق الباب، ويقف معهم على عتبة المقهى، يُدخّن سيجارةً، يُفكّر كيف سيدخل البيت دون أن يتعثّر بجثّة زوجته التي قتلها اليوم صباحًا.

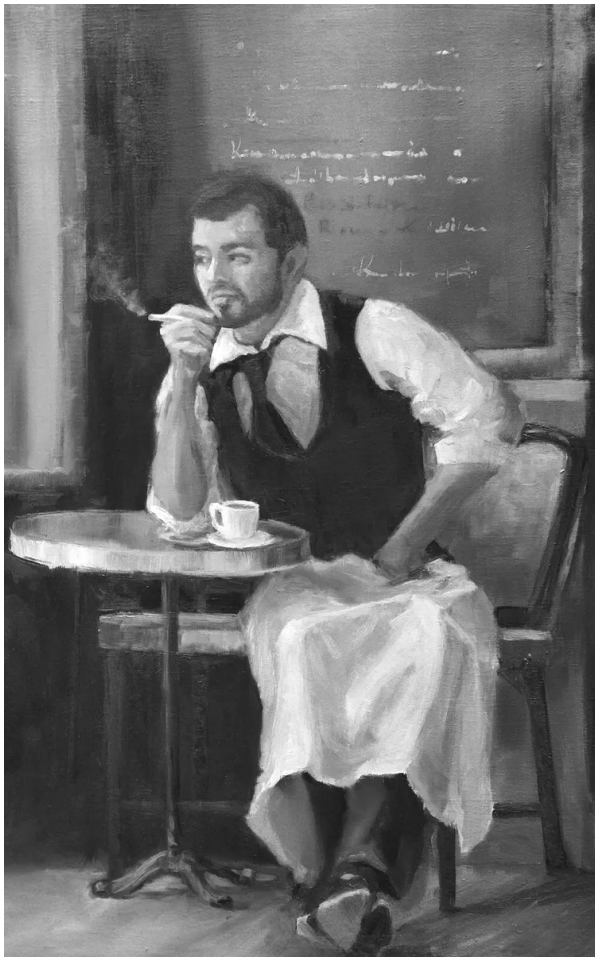

على وسادة

فاطمة محمد الهلالات

ويمرّ هذا الليل يا أبي، كأيّ ليلٍ مرّ من قبله.

يهوي رأسي، وتئنُّ شيباته وهي تتناثر على كتفيَّ الوسادة، وتتشبّث في أحضانها حيرة البياض، كطفلٍ رضيعٍ أفزعه الضّبابُ الأعمى، فأمسكَ بثوب أمّه، وخاف المجهول والعتمة والفِراق، وطال عينيه البكاءُ، وتثرثرُ أنّاته كطقطقةِ حجارة الودع، يومَ نثرتها لي العرّافة، وقالت: «بعد شقاءٍ سيأتي الفرح».

فرحٌ من جراحِ سهامٍ لم تخب.. ولم تطب.

أهيمُ في قطنها على وجهي، فوق ركام هزائمي، أُحصي خسائري وما استوطن في لحمي وعظمي من تعب، وما أصاب قلبي من عطب، وأتكوّر.. أنطوي، وينحني ظهري كعلامة استفهامٍ ظلَّت واقفةً على ساقٍ وحيدةٍ، سائلةً: «ماذا جنيناً كي نحصدَ كلَّ هذا الموت؟!»

وأصيحُ في الصّمت صمت السَّحَر: «لماذا؟ وكيف؟ وأين؟ ومَنْ؟ وإلى متى؟».

ومَنْ يسمع الصوت؟!

أصيحُ مبحوحًا.. قد خانني صوتي، إلّا وسادتي تسمع، تصبحُ غيمةً مهاجرةً.. ونطير، ويا تُرى أين المفرّ؟!

أطير.. أبحثُ عنّي، ربما أجدني في أرضٍ ما بطلًا، وأضحكُ ملء حزني، وأنا أراني بكلّ سذاجتي، أطاردُ السّراب في عتمة صحراء مُقفرة إلّا من عواء ماضٍ أعجف، وجبالٍ تصفع وجهي بصدى صوتي، وعشبٍ أصفر.

أطيرُ.. وتقذفني الغيمة بسرعة برقٍ، ضائقةً بحملها من همٍ ثقيلٍ، من حيث أتيت إلى خريف العمر، بقلبٍ مقفرٍ أيضًا وأصفر، اعتادَ الغيابَ ومُرَّ الاحتضار، والفرح والحلم المنتظر.. وسمعتُ صوت حطامي على الأرض الصلدة، وأنين الخسارات لعمرٍ مرّ في عينيه النهار، النهار الذي يمرّ ولا شيء فيه مهمّ سوى أن يمرّ.

أذكر يا أبي أنّي عشتُ ومتُّ ثلاث مرّات، وبكيتُ في ليلي كلّ الكذب الذي ملأ ضحكات الصباح التي زعمت، وفزع كابوسٍ أقسمَ ألّا يخون عهد الوفاء بالبقاء، وأذكر أنّني طَوال ذلك الوقت، كنتُ أُمسِكُ يدًا حانيةً، وأتّكئ على كتفٍ من وهمٍ، أشكو إليها زمنًا لي مضى، وما خلا إلّا منّي أنا.

ثمّ أصحو بعد كلّ ليلةٍ ممزَّقًا بحلم.. أفتح عينيَّ مُجبرًا.. أجلس في مكاني طويلًا لاهثًا.. أتجرّع مُرّ النهوض؛ لأغسلَ وجهي من أضغاث حلمٍ كاذبٍ واهمٍ خائنٍ، وأراني هناك في المرايا التي تصدق ولا تخون، هيكلًا مشرّدًا من فُتات وشتات، أعرجَ القلب، مكتوف اليدين، مشتَّتًا على مفترقات الطرقات، فأيُّ طريقٍ هي لي؟! وأين المفرّ؟! أين؟ وأين؟

أصحو وأجرّ قدميَّ خلفي نحو النهار، في ذات الطريق، بجسدٍ مائلٍ لليسار، بأطنانٍ من ماضٍ تعبٍ وحاضرٍ حائرٍ، وفوق كتفي اليمين بندقية، بندقية قُدِّرَ لها حراسة التّعب.

وأذكر يا أبي أنّني في ثالث موتٍ خرجتُ إلى الفراغ يومَ اشتهيتُ الصّراخ للسماء، فخرج صوتي مبحوحًا كأنينِ مذبوحٍ في آخر الأنفاس، وأذكرُ أنَّ قلبي حينها اختنق واحترق حتى مات.

ومَنْ يُجبر ما كُسِّرَ فينا؟! وما كُسِرَ فينا في البدايات لن يجبره رتقُ النهايات، وما مضى قد مضى، وما فات قد فات، وأيّ وردٍ ذاك الذي يُوأَدُ حيًّا تحت التراب، ويعود زاهيًا إن أخرجوه وظنّوه حيًّا؟! قد قضى يا أبي.. قد مضى ومات.

ما زلتُ أُبصرُ طريقي الوعر، أمضي فيه كلّ يومٍ، لا أجني إلّا الأرق، ووزر الحلم، والاعتراف كلّ ليلة على الوسادة، وعلى وسادة.. حتى يبزغ أول شعاع للنور من حلمٍ اختنق صوته.. وعلى صرخته ما زال قلبي يفرُّ كلّ مساء، غريبًا كنجمةٍ تائهةٍ يتيمةٍ بين الكواكب في سمواتٍ بعيدةٍ، وهي تصرخ صرختها الأخيرة: «ما مصير الأمهات (الرجال) إنْ خانتهنَّ الحياة، وأيقنَّ أنّهنَّ فقط أنجبنَ ضحايا للحياة، وبقينَ يقاومنَ الريح وحيداتٍ في الشتات؟».

كم هزمتني خيانةُ كتفكَ يا أبي! وكم اشتهيتُ الصراخ! ولكن.. خانني صوتي، فوَاعذاب مَنْ خانه صوته.

ريتا

تغريد أبو شاور

سيرشقونك بالحجارة يا صاحبي، أنا أعرفُ أهلَ هذه المدينة، يمشون ببدلاتهم الجميلة، وجيوبهم ملأى بالحجارة، حتى واجهاتُ محلّاتِهم وشرفاتُهم ملأوها بالحجارة.

- افعلْ مثلي واهجرها.

- لكنّي.. لا أستطيع.

- لماذا؟

- لي فيها ما لي.

- وماذا لكَ فيها؟

- قلتُ لكِ لي فيها ما لي.

- نعم، لكَ فيها كلّ الجثث، أعلم.

- نعم، تركتُ في كلِّ شارعٍ جثّةً، ولم أعتَدْ على دفنها؛ لتظلَّ تقودني إليها وأظلّ مستأنسًا بها.

- لم تُجبني؟

- حولَ ماذا؟

- ماذا لكَ في هذه المدينة؟

- لي أمٌّ مُقعَدة.

- أمِّنْها في إحدى دور الرعاية.. وماذا لكَ أيضًا؟

- لي دكّانٌ صغير.

- بِعهُ واحتفظ بثمنه، فستكون أحوج للمال في جيبك، بدلًا من تخزينه في علب الحلوى.. وماذا بعد؟

- صمتَ طويلًا الرجل القبيح ذو العين الواحدة، فقلتُ له: هل أسألكَ دون أن أحرجك؟

- تفضّلي.

- كيف فقدتَ عينك؟

- حكايةٌ طويلةٌ لا متّسعَ لها الآن.

- أرجو أن تُخبرني بها وقتَ أن تعدلَ عن رأيك، وقبل أن يُفقدَكَ أهلُ هذه المدينة عينَكَ الأخرى بحجارتهم.

صمتَتْ ريتا، المرأةُ المتمرّدة، التي لم تتّسع لها ساحةٌ ولا قاعةُ محاضرات، ولا حتى كرسيّ طبيب أسنان، كانت نمرودةً منذ الخامسة من عمرها، عندما فتحت نافذتها، وألقت بعشِّ العصفور بعيدًا عنها، وهي تقول له: «اذهبْ أنشِئْ بيتك بعيدًا عنّي، اذهبْ وتعلّمْ الحرّيّة من غيري».

بعد هذه الحادثة تغيّرَتْ ريتا، ونضجَتْ في أتون الكتب الفلسفيّة، وورثَتْ عن أبيها شيئًا من تهوّره وحماقته، نضجَتْ وفي عينيها نهرٌ رائقٌ، وخدّاها تفتّحا كزهرتي لوز تحت شقرة شعرها.

كلُّ هذا القبح – كما كانت تدعوه – قفُ في وجه قوتها، فكثيرًا ما سبّبَ لها المتاعب، لذا قرّرَتْ أن تسدَّ ثغرة جمالها الفتّان بحجر الرجولة، كانت تُخشِّن من صوتها، وتدلف الطّرقات بخطوات عسكريّة، حاملةً على كتفها حقيبة، وتلمّ شعرها تحت قبعة جيفارا.

لم تكن تنتمي إلى حزب أو تنحسب على جماعة، كانت ترفض كلّ الأحزاب التي تُغيّر برامجها وفقًا لمصالحها وحساباتها، لذلك تتركهم لعتاهتهم السياسيّة، فانخرطَتْ في حزب كتبها.

ريتا...

ـ والآن قلْ لي.. هل لك حبيبة قي هذه المدينة؟

أخذ نَفَسًا من سيجارته، وأجاب وهو ينفث دخانها قائلًا: لا حبيبةَ لي بعدك!

ـ إذن، لترحل بعيدًا، لن يُبقوا عليك، قلتُ لك إنّني أعرف أهلَ هذه المدينة.

ـ لِمَ تركتِني يا ريتا؟

ـ لم أتركْكَ، بل لحقتُ بنفسي.

ـ لحقتِها دوني؟

ـ لم يكن سهلًا عليَّ أن أتكفَّل بحملك، فقدانك لعينك صعّب الأمر عليَّ كثيرًا.. لو أنّك تخلّصتَ من الأخرى، ربما كان الوضع أخفّ عليّ (محاولة أن تُلطّف الموقف).

ـ وبماذا أراك؟

ـ بقلبك، بثقتك، برأيك، بفكرك، بأفكارك، بتحرّرك، بحريّتك.. كنتَ دومًا صارمًا وموجِّهًا وعبقريًّا في قيادتك للحياة.

ـ بعين واحدة أستطيع ذلك، لكن دونهما معًا، كيف أفعل؟

ـ كنتُ سأصيرُ دليلَك.

ـ كيفَ وأنتِ تركتِني؟

ـ كنتُ صغيرةً، كان عليَّ أن أخلقَ لي رمزًا أمام الآخرين، وأن يكون لي هدفٌ في هذه المدينة، كان يجب أن أعوّض جمالي اللافت بقبحك، وأُثبت للعامّة قبل الخاصّة تفرّدي واستقلاليّتي وخياراتي الثوريّة، وأنَّ المبدأ عندي كان أهمّ بكثير من الشكل، وكنتَ أنتَ صاحب قضية ومبدأ لا يفترقان.

ـ كانت عينك الواحدة مصدر نور لي رغم انتهازيّتي في البداية، كان عَلَيَّ أن أحبّك منذ أول لحظة، رغم بداياتي الكاذبة معك، ورغم أنّي صرتُ مدعاةً لسخرية الأصدقاء المُخلصين، إلّا أنّي صرتُ أحبّك بعد ذلك، وكان تعلّقي بك يزدادُ شراسةً رغم قبحك وقبحي.

ـ كنتِ تُريدينني الوجهَ الآخرَ منك؟

ـ ليس بالضبط، فالوجه الآخر منّي مُنكسر، وأنت بوجهك ذي العين الواحدة، كنتَ تُقلق كلَّ الآخرين. في ما بعد تأكّدتُ أنّني رغم خُبث هدفي وحبّي المصلحيّ لك، فإنّني لم أندم، بل على العكس، اكتشفتُ فيك جوانب لم يكن يشي بها صمتك ولا جلوسك طوال اليوم في هذه الدّكّان، تُدوِّنُ ما لم أكن أعلم عنه شيئًا.

- ولمّا علمتِ قرّرتِ الهروب؟

- نعم ! في ذلك اليوم الذي كنتَ تكيل به السّكّر، تناولتُ أوراقك التي كنتَ تُخفيها عنّي، لأول مرّة كنتُ أقرأ عن الثورة والمدينة والحياة، بنكهة السّكّر والفلفل والدخان، قرأتُ ما تيسّر لي سرقته من ورقك، كنتَ ثوريًا أصيلًا، تعرف أين تضع قدميك وعلى ماذا تستند.

كنتَ عالمًا، وكنتُ أنا مجرّد طيف، كيف سمحتُ لنفسي أن أعبثَ بالوقت مع رجل يقف على حافة الموت، في جيبه قنبلة، وفي الجيب الآخر وردة؟! كنتُ أحسبُ نفسي أنّني الساحة الرئيسيّة لهذه الثورات، وأنّي اليد الوحيدة، واللسان الوحيد الذي يرفع اللاءات.

كنتُ أعتقد أنّكَ تابعٌ لي، وأنا بكلّ حماقة كنتُ أتبعك دون علم منّي، كنتُ أريدك رصاصةً في مسدسي، ومع ذلك كنتَ أنتَ لغمًا صامتًا داسه كبري.. عندها خجلتُ من نفسي، وتأكّدتُ أنَّ نَفَسي الثوريّ كان ورقيًا، ومجرّد (بروشورات) ألصقها على مرأى الحضور، وبعدها أغيب بين الكتب، أمّا أنتَ، فكنتَ حياةً خالصةً، ثورةً خاصّةً بك.

- لم تكن أوراقي ذات أهميّة، كانت مجرّد مخطوطات لكتاب يصفُ الحياة بكلّ بشريّتها وإنسانيّتها، وينقل الإنسان من ثورته الداخليّة لسلامه الخارجي، ثمّ يُعيده من سُلّمه المجتمعيّ إلى الثورة الحقيقيّة في داخله.

هذا هو المبدأ ذاته الذي تعاملتُ به مع عيني الواحدة، وهو عكسه تمامًا ما تعاملتِ به مع جمالك.. حاولتِ تجزئته وتخريبه وتشويهه، ولبستِ أقنعةً لا تناسب طفولتك، لكنّكِ نسيتِ أنَّ ما ينبع من الداخل أكثر جاذبيّة. لا أنكر أنّكِ فتاةٌ مختلفةٌ وذكيّةٌ ومولعةٌ بالمعرفة، عكس نظيراتك، لكن ذلك ما كان سوى حجاب تواريْن فيه ضعفك، عكسي تمامًا، كنتُ أرفض أن أغطّي عَورَ عيني بقطعة جلديّة أو نظارة غامقة اللون، كنتُ واضحًا معك ومع العالم حتى في قبحي.

- هذا ما جعلني أحبّكَ فعلًا، وفي الوقت ذاته، ما جعلني أهربُ منك عندما رأيتَني أستهدف رجلًا ظننتُ بقبحه أنّي سأتمرّد أكثر؛ لأجدَهُ بعقليّته الناضجة يُشعل ثورتي ويُقشِّر لي الحياة، فهربتُ، كنتُ أعتقد أنّك ضعيفٌ وأنّي أقويك، وأخلق منك أمام الآخرين نموذجًا حيًا... اخترتُكَ، بعدها وقعتُ في الفخّ، وأحببتُكَ حقًا.

- لمَ عُدتِ الآن؟

- كي أخبرَكَ أنَّ هذه المدينة التي خسرتَني لأجل موت رجل لم نرَه يومًا، ستعمل على قتلك، سيرشقونك بالحجارة، سيقتلونك.

- لم أفعلْ لهم شيئًا.. فأنا رغم تمرّدي أعيش هنا - منذ ذهبتِ - بسلام كبير، منذ أوقفوا الثورات ولوّحوا بالرايات البيضاء، لم يَعُدّ هناك ما نخسره ولا ما نكسبه، كان الربح والخسارة هما رأس مال الثورة التي بدأناها، والمقاومة هي حجر أساسها، ولكن منذ لعبت الطاولاتُ المستديرةُ لعبتها في تسيير البلاد والعباد، كنتُ قد جيَّشتُ كلَّ حياتي لهذه الدّكّان.

هذه المدينةُ التي لا طاقةَ لي على فِراقها ولا على حزنها، هي ما جعلتني أضعُ في دماغي حزامًا ناسفًا لأجل أمانها، ولأجل هدأتها، ولأجل ربيعٍ ينبتُ بين شقوق الحجارة رغمًا عن تيبّسها، ولأجل الياسمين إذ يتدلّى من الشّرفات لتتعطّر به الأزقة... تركتُ المدينة هذه لتقرِّرَ بنفسها، فكانت كأيِّ طفلٍ بريءٍ بسيط، اختار النوم دون خوف، ثمّ مِن أين لهم بالحجارة؟ أنتِ نسيتِ أنَّ هذه المدينة لا حجارةَ فيها سوى حجارةٍ للبناء.

- كان التنويرُ الذي أنشده أشدَّ وضوحًا في عينك العوراء من عينيَّ الزرقاوين الكاملتين.

- كلُّ الحجارةِ التي ترَيْنها ما هي إلّا أضواء كاملة اللمعان في عيني الواحدة.

- إذن لن ترحل؟

- لن أرحل.

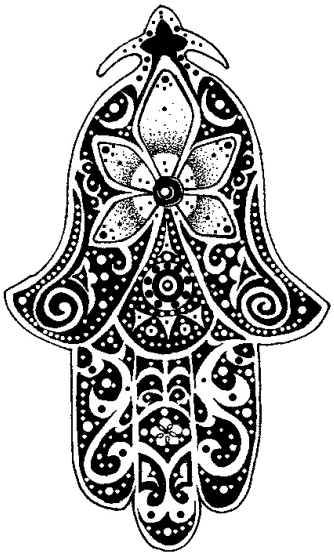

طقسٌ شرقيٌّ

سامي الخليفات.

ـ أمامك طريقٌ طويلةٌ وبعيدةٌ.

أشعل البخور، تصاعد دخانٌ وتمتمة: «عرباش»، «مرقاش»، «مشكاش».

ـ حياتك مليئة بالخيبات والخطيئة والفشل المُتكرّر، تحتلّ رأسَكَ امرأةٌ من ولد آدم، سمراء، في أكنافها رائحة الرّمل والصّحراء، لكنّها ترحل عنك إلى البحر، ويصيبك الهمّ والغمّ، وتستوطنك أسرابٌ من حكاياتٍ طويلةٍ، وهذي الأرض تنفيك إلى غربة.

أراقب المكانَ المُظلِمَ، وهذا التكوين الذي يشي بالخوف لرجلٍ يحمل تمائمَ كثيرةً على صدره، أتصفّح وجهه المُغرق في الإبهام والحيرة، فيصل الشّكُّ إلى أبعدَ من وجهه، رائحةُ الدّخان مزيجٌ من حكايات جدّتي العجوز ومن طقوس المطر عند قدوم الشتاء، والعطّار ذي اللحية الحمراء، وفرس أبي الحمراء التي أصابتها العين فماتَتْ، يومها حَزِنَ أبي لفقدها كثيرًا.

– لماذا الألوان الحمراء والسوداء في قريتنا تكتسي إيقاعًا مرتبطًا بالموت والخسارة والوداع؟! كانت النسوةُ الكبيراتُ يحملن مناديلَ سوداءَ أيضًا إن قرّرَ أزواجهن الغياب.

- لا أعرف.

أُصِبْتُ بالصّاعقة لمّا انفجر صوته، فأعادني إلى ما يقول:

- أنتَ غريبٌ في نفسك، متوّزعٌ بين اثنين، يسكنك حارس البحر منذ وُلدتَ، ويشرب من دمك خادم الرمل.. حياتك متاهةٌ لا مخرجَ منها، أمامك بابٌ بقفلٍ لا مفاتيحَ له، وهذه الأيّام حبلى بالهموم.

أعيد ترتيب الألوان كي أجدَ علاقةً بينها، فلا فائدةَ تُرجى، هذا الظلام يحجب الرؤيا، تصطفّ النسوة والصبايا والصغار تأهّبًا للصعود لأعلى الجبل، يحملنَ أحداقهن والخبز والمشاعل الثَّملة بالزيت؛ ليبدأ الطقس واستمطار السماء، يجيء الصوتُ رتيبًا، خائفًا وآملاً أن تهبَ السماءُ من جودها ماءً لأفواهٍ فاغرةٍ عطشى، لأرضٍ جفَّ ضرع جذورها فتشقّقَتْ قبورًا وعويلاً، والكلّ يستجدي المطر أن يفضَّ بكارة الأرض المشتاقة للماء: «يا أمّ الغيث غيثينا، بلّي اشويشة راعينا، راعينا رحل عنّا، بدو طبايق حنّا».

لوحان من خشبٍ، يتقاطع الصغير مع الكبير بما يشبه الصليب، وثوب أبيض ناصع جديد يرتديه اللوحان الشاحبان خيالًا لشيءٍ ما، ولهفةٍ ما، وإيمانٍ ما. تتراءى النّسوة من بعيد صاعداتٍ عنقَ الجبل الكبير كمملكةِ نملٍ صغيرةٍ، هالة من السواد والبياض تزحف للقمة؛ لتكون أقرب إلى الله.

مثل بشارة العائد من سفر طويل، ينسجم الجميع في حُداء الأمل والرجاء والخوف والسكينة، يظهرنَ ويختفينَ كموجةٍ هاربةٍ من محيط، تلوح رؤوسهن الصغيرة وسط الشِّعاب والأودية كحملان تعيسة.

يضيف الرجل المخنوق باستحضار العفاريت:

- يا بُنيّ.. ستذهب في سفر بعيد، ولن تعود وتظلم الدنيا من حولك، كهف في الأرض الخامسة.

يتمتم: «شرباش، يا سيد الخدام...»، يهتزّ، يرتعش، أُصاب بالذهول وأرتجف، يُمسِكُ يدي، يُطلق ضحكة ملعونة...

- اذهَبْ.. ليسَ هناك أمل.

تتحلّق النسوة، يُشعلن النار، يتراكض الأطفالُ حولهن بضحكاتٍ وأهازيجَ وأسئلةٍ، يصل إلى أذني صوتهن الحزين كنقطة ماء ارتطمت بقاع البئر؛ لتعانق أخواتها الغائبات: «يا أم الغيث غيثينا، راعينا رحل عنّا.. عنّا.. غيثينا».

نصّان

راما الرجبي

(١)

وجدتُ بالصّدفةِ أُغنيةً جديدةً تجمعُ بين موسيقى الروك بطابع كلاسيكيّ يغمره الصّخب الهادئ، سمعتُها تسعَ مرّاتٍ وأكثر، حفّزَتْ لديَّ مشاعر كنتُ أحملها في قيادتي لطريقٍ ما كلَّ صباح، بنفس المعالم والمطبّات والأشخاص الذين اعتادت عيناي على رؤيتهم، كنتُ مندفعًا لأُسمِعَها لِمَنْ أحبّ، ولكنّني تذكّرتُ أنَّ البيتَ فارغٌ، والأشخاص الذين يمشون في الخارج لا أعرفهم، نظرتُ في المرآة، رأيتُ وجهي الذي غبتُ عنه فترةً طويلةً تغيّرَ كثيرًا، بِتُّ لا أعرفه! أدركتُ أنَّ ثمن النضوج في تلك اللحظة كان مُكلفًا.

(٢)

صرختُ على جميع الأشياء الصامتة عندما أدركتُ احتماليّة أن أفقد صوتي للأبد، على الرّغم من أنّنا خليطٌ من التناقضات التي لا تخلو من صراع البقاء والأَثَر، فإنَّ تقديسنا للمرات الأولى والأخيرة يبقى دافئًا رغم برودته، التي حملَتْ في طيّاتها حُزنًا وخِفّةً ولهفةً مؤقتةً، كأوّل مرّةٍ أدركتُ فيها أنّكَ تقع في حبّ شيءٍ تختبر وجوده الدخيل فيك، أول تمرّد تخلّله الصّراخ على جميع الأشياء الصامتة حولك، أوّل إدراك للمسمّيات والصّدمات، كلّها تبعات تعود بنا إلى المرّات الأخيرة، التي لم نَعُدْ بعدها كما كنّا، كآخر مرّةٍ ذرفَتْ فيها عيناك

الدموع بعد خذلانٍ غيرِ متوقّعٍ، آخر يوم قبل أن تتغيّر آخر رسالة لم تصل، ولقاء لم ينتهِ باحتضان مَنْ تحبّ، لأنّكَ جهلتَ أنَّه الأخير.

أضغاثُ حبّ قصّة شيرين طلعت، الليلة التي قام فيها ببتر ساقه، نزف الطريق، خلعت الأشجارُ أغصانها كي تُضمِّدَ جراحه، لم تدرِ أنَّ الشوك فيها كان يداويه؛ لأنَّهما كانا تحت أغصانها، لكن أين هي؟

لم تظهر، لم تعلم بهذا الخبر، أتته في المنام جالسةً أمامه، لم يستطع أن يُخبرها حتّى في الحلم،

ولكن على تلك الطاولة أخرج قلم الحبر المُفضَّل لديه، الذي يرشّ عليه عطرها قبل أن يكتبَ لها، التقطته هي منه بخفّةٍ، قامت بشمّه بعمقٍ، وهمّت لتكتب، فطارت الورقةُ بعيدًا.

استيقظ مُضطربًا، آلمه الحلم، ولكن ليس أكثر من هروب الكلمات واحتباس الافكار. منذ فترةٍ ليست ببعيدةٍ كانوا يُلقّبونه بـ(ملك الأفكار)، كان يصيدها بانسيابيّةٍ لقلمه على الورقة، كالقدم الثابتة التي لا تضلّ الطريق.

أين تلك الأفكار التي كانت تسقطُ واحدةً تلو الأخرى، بمجرّد أن يُمسك القلم كموجٍ يُتعب البحر؟

أين ذاك العطر الذي يستوطن قلبه قبل قلمه؟ هل خَفَتَ حبُّهُ في قلبها ببتر ساقه؟ هل الشّريان المؤدّي لقلبه كان يسلك ساقيه اللتين كانتا تذهبان به إلى أماكن بعيدة؟ كان غريبًا في بلدتها، لكنّه قريبٌ منها، لم يدرِ أين يتّجه، ولكنّه يعلم كيف يتّجه بقلبه.

لم يشعر بالغربة لطيفها اللطيف في كلّ الأرجاء، أشعل سيجارةً، وأخرج نَفَسًا تلوَ الآخر، ترك النظرةَ على منديلٍ أعطته له في آخر لقاءٍ، محمومًا ينطق حروفًا لا يستطيع أحدٌ تفسيرها من زكمة أنفه التي ترشح كثيرًا.

نفِدَتْ كلُّ مناديله، لم تُرِدْ أن تعطيَهُ واحدًا؛ كيلا يفترقا.

– خرافة قديمة، إن أعطيتَ لأحدهم منديلًا، فلن تراه مرّةً أخرى.

– مجنونةٌ أنتِ، تتركين الخرافات تسكنك.

وضحك.. سقطت دموع الحبّ، التقطها على منديلها وأخذها قائلًا: «اقتلي كلَّ الخرافات، فأنتِ تعيشين معي على ورقٍ وتسكنينه وحدك، وأنا لن أبتعدَ عنك لأجل منديل ورق، أنا موطنك وأنتِ خارطتي».

خفتَ صوتُها، لكنّه يعلو الآن في قلبه وهي تهمس: «تبًا.. كم أحبك». وقف حينها قائلًا: «وأنا حبيبك الأخير». وانحنى على قدميه.

سمعه كلّ مَنْ في المطعم، ضحكوا، صفّقوا، لم يهتمّ البعض الآخر، كلّ هذا وكأنّه أمس، كلّ هذا بأربع سيقان وقلبين وروح واحدة، لم يختبر نفسه بالبُعد عنها طيلة هذه المدة، لكنّه وقتَ ما اختبرها، فشل وهوى أكثر.

بئرٌ سحيقةٌ لا يسمع صداه فيها، يناجيها أن تأتيه، فقد أصبح من الصعب الذهاب إليها، هل سيردّ لها منديلها المُجعّد؛ لكي يدحضَ تلك الخرافات التي لا يؤمن بها، أم دمعتها المسبوقة فيه تُهوِّنُ عليه عذاباته، وتلتقي بدموعه، فيحلو طعمها، هي بكت عليه أولًا، وكأنّها تدري ما سيلمّ بها، هل تلومه الآن على ابتعاده؟

لم يجرؤ يومًا على المواجهة معها، وكيف يواجه كلّ هذه المسافات التي أصبحَتْ تفصلهما،

كلمات مبعثرة لم يستطع أن يجمعها، هل ستظلّ معه حبيسة الورق القديم؟ ستصفرّ الأوراق ولا يشيب قلبه بها، سيدفن أحذيته القديمة التي مشت معه في طريقها تحت الشجرة؛ لتصبح خطىً للعاشقين؛ لتُكمِلَ طريقهم، ولا تنتهي قصصهم، وتُبعد عنهم خرافات الورق وإغواء القلم.

سجينُ الصَّوت

هشام أزكيض

رنّ صوت الهاتف في منزل الكاتب والأديب (نضال السعيد)، كان على الطرف الآخر صوتٌ نسائيٌّ يطلبُ من الكاتب إعداد كلمة يُلقيها في المنتدى الدّعائيّ لحزب (طريق الشعب)، فتح فاه، وتكلّم قائلًا: «في مجتمعٍ يؤمن بأنَّ الانتخابات فرصة ترتفع قيمتها بمرور الوقت، فينتظر نهارًا كاملًا ليعرفَ كم سيكون ثمنه حين يصل الضّمير إلى أخفض بقعة في دواخلنا، علينا حينها جميعًا ألّا ننتظر أن يقوم الله بانتشالنا من هذه القذارة التي تركناها تتراكم خلف أضلاعنا حتى انتشرت رائحتها في أيامنا كلّها.

علينا ألّا ننتظر أن يتمّ ترميم أيّ طريقٍ في وطننا، وألّا نشكو من الازدحام المروريّ، وألّا نقوم بشتم الأضواء المُنطفئة في الطرقات، ولا الأرصفة المُتكسّرة، ولا حتى كوارث الصّرف الصّحّيّ، نحن أقرب ما نكون إلى رائحتها حين نبيع أنفسنا وضمائرنا بورقة نقديّة من فئة 200 درهم لعينة.

غدًا سنشهد عرسًا يليق بفكرنا، فنحن من تركنا أبجدية الأخلاق من أجل مواساةٍ قريبةٍ لنا، أو من أجل تضحيةٍ مليئةٍ بالإهانة. كيف سأشرح لأبنائي لاحقًا أنَّ ثمني كان في يوم من الأيام أقلّ بكثير من خروف هاجر البحر متجمّدًا؛ ليكون في النهاية خلف زجاج ملحمة في وطن لا يعرفه؟ وعلى الأقل ذلك الخروف المُعلّق لا يعرفه أحدٌ هنا.

لا تبِعْ صوتك، قاطِعْ ليقطعَ اللّهُ عنّا شرَّ هذه الأيام، انتخاباتٌ مدفوعةُ الأجر بالخوف والخضوع والإهانة، في الأمس بيع القطيع يا صديقي برطل من علف، نام القطيع بلا جوعٍ ليلةً واحدةً، وبقية العام أيّام عجاف، يستعطف القطيع فيها الذئب على أن يعطيه الخبز الحاف، هذا حالنا وحال وطننا يا أصدقاء، بعد أن سقط الضمير كقطعة ثلج في قاع الكأس».

كانَ التصفيقُ حادًّا، انصرفوا جميعهم إلّا هو، أخذتُ أبحث عنه في كلّ مناحي المدينة، لكنّه اختفى كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكرًا.

بعد مرور سبعةِ أيامٍ استيقظتُ مذعورًا على صوت الهاتف، كان صديقنا المشترك (عبد الرحمن)، فحدّثني قائلاً: «جهّز نفسك لرؤية صديقنا نضال السعيد».

حاولتُ بكلماتٍ كثيرةٍ أن أعرف كيف وجده، وأين هو الآن، وماذا حدث له في الأيام الماضية، لكنّه أصرَّ على الصمت، فقط كان يردّد: «ستعرف كلّ شيء».

التقيته، وقادني بسيّارته إلى منطقة صحراويّة نائية، وكلّما حاولتُ أن أنطق بكلمةٍ كان يسبقني بطلب الصمت، وتوقّف بي أمام مبنى مترامي الأطراف، تعلوه لافتة قاتمة، وتستطيع أن تفهم — بما أدركتُ منها — أنَّ صديقنا في المكان الذي يستقرّ فيه كلّ مَنْ ينطق بالرأي غير المرغوب فيه.

ستَ عشرةَ قضيةً

هدى لؤي

بِمَ تُفكِّرُ؟

بقلّةِ عدلِ الحياة

بالعاداتِ والتقاليدِ المريضة

بالعجزِ والرّضوخ

بالأحلامِ وأرضيّةِ الواقعِ القاسية

بإيصالِ الرّسالةِ وانتهاءِ الوقت

بالرّوحِ في رحمِ الأمّ

وعن كيفيّةِ التّعبيرِ عن ذاتها

بسهولةِ إشعالِ الفتيلِ في ما بينَنا

بتضحياتِ المرأةِ وأنانيّةِ الرَّجل

بهرولةِ الأيّامِ وبطءِ الإنجاز

بخيانةِ الكلمات

وخذلانِ الأصدقاء

وقلّةِ الأوفياء

وبمنزلي القديم

وبقضيتي فلسطين

وبالحقيقةِ الحتميّةِ الوحيدةِ المُقدَّرةِ في هذه الحياة

وهي «الموت».

ومرّةً ثانية

اخترقَ صوتُهُ شرودي بسؤالِهِ كثيرِ الإجاباتِ ذاك

وبثانيةٍ واحدةٍ لم أتريّثْ بها قليلاً

أجبتُهُ لا شيءَ يُذكَر

وجالَ في خاطري كلُّ ما حاولتُ تناسيه

مُرغَمًا من أجل البقاء

وتذكّرتُ عبارةً تقول:

«مشكلتي مع سِنيَّ المفقودةِ أنّهُ لن يكونَ لديَّ في المستقبلِ وقتٌ بديلٌ من ضائعٍ كما هي الحال في مباريات كرة القدم».

وتذكّرتُ أيضًا

أنَّهُ لم يَعُدْ بإمكاني الاستمرار

ولكنَّني سأستمرُّ

وشعرتُ برغبةٍ عارمةٍ في البكاء

ولا أدري إذ بكيتُ أم لا؟!

إلّا أنَّ رؤيتي أصبحَتْ ضبابيّةً بعضَ الشيء

ربّما لأنّنا في ديسمبر

فهو بطبيعتِهِ ضبابيُّ المستقبل

عبثيُّ المشاعر

مُثقَلٌ بالذّكرياتِ والحنين.

حروفية الفنان إبراهيم أبو طوق/ الأردن

حروفية الفنان أيمن بن جدو/ تونس

خلفَ مِدْفَعِ الرّعب

الدكتور علي الخرشة

حروفية الفنان ساسان ناصرنيا/ إيران

خلفَ مِدْفَعِ الرّعب

الدكتور علي الخرشة

بالكاد كنتُ أفتح عيني وأنا أفركها بيدي، حافي القدمين، تسري ببدني قشعريرةُ البلاط البارد في الصالون، الإضاءة خافتة تشعّ من لمبة صفراء معلّقة بسلك فوق باب الصالون، ذي الأقواس الأربعة، أتقدّم كأنّي أعرف ما الذي أريد أن أفعله، أجلس على البلاط وأضمّ ساقي إلى صدري مُشبّكًا أصابع يديّ حولهما، ثم أبدأ بالدوران.

لعبة ساذجة ألعبها دائمًا مع إخوتي، نتحوّل كالبلابل التي تدور حول نفسها حتى تتوقّف، لكنّي الآن أفعل ذلك وحدي، وفي هذا الوقت المتأخّر في صالون منزل أهلي القديم، الليل الحالك يُطِلّ من خلف الأقواس الزجاجيّة لبوّابة الصالون، أراقب سواد الليل بهلعٍ وأنا أرى في تلك الأقواس آذانًا بيضاء تنبت من العدم.

أكفّ عن الدوران، يُصيبني خوفٌ رهيبٌ، فأحاول النهوض، أجدهم قد اقتحموا الصالون، كائنات شنيعة مكسوّة بالفراء الأبيض، لها آذانٌ طويلةٌ، كان عددهم يفوق عدد الأقواس التي ظهروا منها، أحاول الهرب، لا أستطيع، حركتي بطيئةٌ جدًّا، كأنّي أركض في حوض من الأسمنت.

يقترب أضخمهم حجمًا ويسحبني من ساقي، أسقط على وجهي، أحاول أن أصرخ فلا أستطيع، تبدو حيطان الصالون غير ثابتة، تدور حولي، لا ليست هي مَنْ تدور، بل أنا الذي أدور، الكائن المُخيف يُدوِّرني من ساقي، أضع يديَّ خلف رأسي لأحميه من الارتطام، تتسارع الحيطان والصور في مجال رؤيتي، فأشعر بأنّي سأتمزّق وأتلاشى في العدم.

ثم لا تلبث الصور أن تتباطأ، ثم يقوم الكائن العجيب بتمريري إلى زميله الأبشع منه، والذي يبدو متحمّسًا ليُدوِّرني من ساقي هو الآخر، أظلّ هكذا كالدمية بين أيديهم، يتقاذفونني، ويتناوبون على تنشيف أعصابي.

أخيرًا جاء دور أصغرهم، لم يعذّبني، لم يُدوِّرني من ساقي، بل أمسك يديَّ وجعلني أقف من جديد، وقال لي بحنانٍ لم أكن أتصوّر أن أجده عند تلك الكائنات: «أين تريد الذهاب؟». أجبتُ بدون تردّدٍ: «إلى أمّي». أخذني إلى غرفتها فلم نجدها هناك، ثم طلبتُ منه أن نبحثَ في الغرف الأخرى، فلم نجدها، وهنا وجدتني أبكي، وأبكي، وأبكي، ثم أستيقظ لأجد نفسي وقد كنتُ أعيشُ في أسوأ كابوس.

هذا هو الحلم الذي لم أنسَه ولن أنساه، رأيتُهُ وكنتُ لم أتجاوز السادسة بعد، وها أنا أبلغ الثامنة والثلاثين، وما أزال أذكر كلَّ تفاصيله، منظر تلك الكائنات، وآذانها الطويلة، ودرجة الإضاءة، ومقدار الرّعب، الرّعب الذي عشتُهُ بعد ذلك الكابوس الشنيع.

أسأل نفسي دائمًا: هل كان هذا الكابوس هو بداية ما عشتُهُ كطفلٍ خوّافٍ يُرعبه صوت خرفشة كيس النايلون، إذا ما حرّكته نسمةُ هواءٍ عابثة؟ أم أنَّ ذلك الكابوس كان نتيجة ما كنتُ أذهب إليه بملء إرادتي من حبّ للرّعب، ومن رغبة صادقة لطفل لم تلوّثه الحياة بعد، بأن تكون تلك الكائنات موجودة بحقّ؟

في طفولتي ما قبل المدرسة كان عالمي محصورًا في اللعب مع إخوتي في الدار وفي الحارة، وفي تلك الساعات التي أقضيها مع أمّي في منزلنا القديم وهي تمارس الأشغال الشاقّة من تنظيف وشطف وغسيل وطبخ، منتظرين عودة العائلة من المدرسة، والحقّ يقال، فإنَّ أغلب اعتقاداتي ومفاهيمي كسبتُها من أمّي، بعضها كان مغلوطًا، والقسم الأكبر وجدته بعد ذلك صحيحًا لدرجةٍ لا تُصدّق.

إنَّ أمّي قد لخّصت لي مفهوم الحياة في تلك الساعات القليلة، تعلّمتُ منها كلَّ شيء، وفهمتُ أنَّ هناك موتًا وحياةً، وجنّةً ونارًا، لكنَّ الجانب الأكبر الذي تعلّمتُهُ من أمّي تلك القصص التي سمعتُها وهي ابنة سبع سنوات من عجائز فلسطين في حوش دارهم.

كنتُ لا أكره النوم كما تفعل بناتي الآن، فقد كان هناك موعد مع قصّة جديدة ترويها أمّي وتنام في منتصفها، لنقلْ إنَّ أمّي هي مَنْ أخبرَتْني عن الغولة التي تنكّرَتْ بصورة العمّة؛ لتستدرجَ صلاح وعائلته البسيطة ليعيشوا معها، ثم تلتهمهم، وهي ذات الغولة التي أحرقها (حديدون) في رواية أخرى.

وكان هناك كائن غريب اسمه الطنبر، يشبه الغوريلا، تقفز الفتاة الجميلة المدلّلة (جبينة) فوق كتفيه بعد أن هرب الجميع، وتركوها عالقةً فوق شجرة الدوم، وذلك الغول الجشع الانتهازيّ، الذي أعطى شعلة النار لـ(وديعة)، الفتاة التي تبحث عن إخوتها السبعة مقابل أن تمدَّ له أصبعها كلَّ يوم من خلف الباب؛ ليشرب من دمها، ونهاية ذلك الغول الشنيعة على يد إخوة وديعة.

ماذا عن قصة (أمّ سنّ وناب)، القصة التي جمعت بين الرّعب والسّخرية، تسقط العجوز فوق شجرة بجوار القصر، بعد أن يرميها الأميرُ من النافذة، منظر العجوز وهي مُعلّقة من ياقة فستانها، وتدلّي (الشختورة) العالقة بين أسنانها، هذا المنظرُ أخرجَ أمير الجنّ من كآبةٍ ظلّت تُلازمه مئات السنين، ودفعته للضحك.

أسأل أمّي بسذاجةٍ: ما هو الجِنّ؟ فلا تترك وصفًا مرعبًا إلّا وتنعته به، نفدت جعبةُ أمّي من القصص، خاصّة أنّني أُطالبُ بالجديد دائمًا، ممّا دفعها لتُلقيَ بالعبء على كاهل والدي رحمه الله. كان أبي أستاذًا للغة العربيّة، يحبّ الشِّعر ويحفظه، وكانت له مكتبة كبيرة يحتفظ بها في غرفة الضيوف، أبي كانت لديه قصص جميلة تتعلّق بالحيوانات، بعضها جاء من كتاب (كليلة ودمنة)، وبعضها الآخر من قصصٍ حدثت

لأبناء قريته، وبعضها من تأليفه هو؛ لأنّي بحثتُ عنها ولم أجد لها مصدرًا.

عرفتُ من أبي أنَّ الأسد هو ملك الغابة، وأنَّ الثعلب (أبو حصين) هو حيوان ماكر، يُعوِّضُ ضعفه وجبنه بالحيلة والعقل، فكانت قصة (اقطع وامتخ) هي القصة المُفضَّلة التي أُطالبه بها كلّما نمتُ بجواره، وتعرّفتُ على الضَّبع الذي كان مصدرًا للرّعب لكلّ مَنْ تُسوِّلُ له نفسه السَّير وحده في الليالي المظلمة، مُستهديًا بضوء البدر.

تلك القصص كانت مُجرَّد قصص للتسلية والنوم، لم تُحرِّك مُخيّلتي بقدر ما حرّكه ذلك الكائن الأسطوريّ المرعب المدعو (أبو لحاف)، ما جعل أبا لحاف مميّزًا يتسيَّدُ عرش مخاوفي، ويُتوَّج بسلطان الرّعب، هو جهلي المُطلق بكنهه، فلم أسمع من أمّي ولا من أبي قصةً واحدةً عن أبي لحاف، فما هو أبو لحاف؟

ظلَّ أبو لحاف يُذكَرُ اسمه للتخويف والزجر إذا ما تأخّرنا في النوم، أو إذا ما سوّلَتْ لنا أنفسُنا الخروج للعب في الحارة في ساعات الليل المتأخّرة، هذا جعلني أرسم صورًا مخيفةً ومرعبةً له، وأتخيّله بقدراتٍ عجيبةٍ لا يملكها إلّا هو.

ذات ليلة صيف جاءت لزيارتنا جارتنا (أمّ أكثم)، كما تفعل دائمًا حين يكون زوجها مناوبًا، فهي تأتي لتنقلَ مخاوفها من المبيت مع أطفالها وحدها في غياب الزوج إلى أمّي، فتُخبرها قصصًا مرعبةً أظنُّ أنَّ أغلبها من وحي الخيال، وكنتُ غير محظوظ في تلك الليلة بسماع واحدة من تلك القصص، بل من أكثرها رعبًا، عن امرأة يموت ابنها في الجيش، فتنعزل عن الناس، ولها جارة طيّبة تتذكّرها ذات ليلة، فتذهب إليها بصحن ملفوف على ما أذكر.

تجد الجارة الباب مفتوحًا، وتدخل كأنّها واحدة من الدار، فتُفاجَأُ بالفوضى والقذارة التي صار إليها البيت، ثم تشمّ رائحةً كريهةً، فتتوجّه إلى غرفة المرأة العجوز؛ لتجدها تجلس أمام المرآة مُعطيةً ظهرها للباب، وقد استطال شعرها الأسود، فتُعجَبُ الجارة الفضوليّة بشعر المرأة الطويل، تريد الاقتراب لتلمسه، لكنَّ الشّعر يظلّ ينمو ويتطاول ويتطاول، فتهرب الجارة بعد أن أسقطت صحن المفوف على ما أعتقد. هذه القصة أفزعتني، ولم تتركني أنعم بنوم هادئ بعد تلك الليلة، مُتخيّلاً تلك العجوز ماذا ستكون عليه حين تلتفت، وجعلتني أخاف كلّما شممتُ رائحة الملفوف.

تطوّرَتِ الحياةُ وكبرتُ قليلاً، وكانت لي ثلاث أخوات يدرسن التمريض في الجامعة الأردنيّة، ويقمن في الحرم الجامعيّ في سكن الطالبات، لم أحظَ بمشاهدة ذلك السّكن، لكنَّ القصص التي روينها عنه وعن تلك الأبواب التي تُفتَحُ من تلقاء نفسها بعد منتصف الليل، وتلك المرأة المجنونة التي كانت تبحث عن رضيعها بين حاويات النفاية المجاورة للسّكن، وعن قصة الطالبة التي احترقت في الطابق الثالث، ويعود شبحها ليزور الطالبات اللاتي يسكنَّ في نفس الجناح.

سيظلّ سكنُ الطالبات الذي بنيته في مخيّلتي بنكَ رعبٍ أعود إليه كلّما نفدت منّي القصص، وجفَّ من منابعه الخيال. وكانت لي أخت عادت هي وزوجها من دولة قطر، وكانت ميسورة الحال، كان لديها جهاز فيديو لتشغيل الأفلام، جاءت لزيارتنا في ليلة ماطرة قد انقطعت فيها الكهرباء، وظلَّ المصباح (الفينيار) هو مصدر الضوء في تلك الليلة، فتجمّعنا حوله، فصنع لنا ظلالاً عملاقةً على الحائط وسقف الغرفة.

روت أختي لنا بأسلوبٍ لا يخلو من السّرد والإتقان قصّةَ فيلمٍ شاهدته على الفيديو، اسمه (موت الشيطان)، في تلك اللحظة وفي تلك الأجواء، وقعتُ في غرام الرّعب وأفلام الرّعب، نقلتُ قصة ذلك الفيلم لأصدقائي في الحارة، بعد أن توقّفنا عن اللعب وجلسنا على حافة (الكندير) تحت ضوء عامود الشارع.

رأيتُ عيونهم تتّسع وأفواههم تظلّ مفتوحةً وأنا أروي قصة الفيلم، فعرفتُ أنّي سرقتُ انتباههم، خاصة أنّي قلتُ لهم: إنّي تفرّجتُ على الفيلم وأنا لم أفعل، بل لم أشاهد في حياتي جهازَ فيديو واحدًا. تلا ذلك اليوم أيامٌ أخرى وسهراتٌ طويلةٌ أروي لهم فيها أجزاء أخرى للفيلم كلّها، نتاج مُخيّلتي وقدرتي العجيبة على الكذب.

في التلفزيون الأردنيّ كانت هناك القناة الأولى التي تعرض نشرة الأخبار ومسلسلاً أو تمثيليّةً محليّةً، يفقد البطل فيها

الذاكرة، أو يتوه في الصحراء طيلة المسلسل، ثم تعود إليه الذاكرة، ويتزوج بنت الشيخ.

وكان هناك القناة السادسة التي تعرض أفلام (الكابوي)، في فترة لاحقة صارت القناة السادسة تعرض فيلمًا مرعبًا كلّ يوم ثلاثاء، وكان حظّي ذات أمسية أن تفرّجتُ على فيلمٍ أجنبيٍّ اسمه (الشيء). كان أبطالُ الفيلم أطفالاً في نفس عمري، وكان هناك مُهرّج يتشكّل بمخاوف كلّ طفل، ثم يأتي ليأخذهم أو يأكلهم، لستُ أذكر.

كان ذلك لا يشبه أفلام الرّعب الأخرى التي تفرّجتُ عليها، ليس الموضوع يتعلّق بكائنٍ فضائيّ لزج يلتهم طاقمًا من المحاربين الحمقى، ولا بمصّاصِ دماءٍ يتلذّذ بمصّ الدم من أعناق الحسناوات، لا، كان ذلك نوعًا مختلفًا من الرّعب، رعب موجّه لي بالذات، هذا المُهرِّج يُذكّرني بكلّ مخاوفي، يُذكّرني بأبي لحاف.

أذكر أنّني لم أنم ذلك اليوم من الرّعب، وهو أقصى ما وصلتُ إليه من درجات الخوف والهلع، كنتُ أتصبّب عرقًا وأنا أُغطّي رأسي باللحاف، أخاف أن أُخرج رِجلي فيمسكني المُهرِّج، لا ألتفتُ إلى النافذة أبدًا فأرى أسنانه الصفراء تُطِلّ من خلفها، كنتُ أريد الذهاب إلى الحمام، لكن هيهات، والمُهرِّجُ اللعين يستطيع أن يخرجَ من مصرف البلوعة، ظللتُ ساهرًا محمومًا، مرتعبًا متعرّقًا، حتى سمعتُ صوت أذان الفجر، فتبخّر كلّ شيء.

بعد أن أصبحتُ شابًا، عرفتُ متأخّرًا أنَّ كاتب ذلك الفيلم اللعين هو الكاتب الأمريكيّ (ستيفن كينق) ملك الرعب، فلعنتُهُ وشتمتُهُ، وأثنيتُ على أنّه ملك الرّعب بلا منازع.

بعد ذلك الفيلم لا أذكر أنَّ هناك فيلمًا أرعبني بالمعنى الحرفيّ سوى فيلم (الاستحواذ)، وبالرغم من أنّي كنتُ في الجامعة، فإنّي حين شاهدتُ الفتاة وظهرها يتقوّس من فعل الاستحواذ، كما يحدث للمريض المصاب بنوبة تيتانوس، ارتعبتُ كثيرًا، وأغلقتُ الفيلم ولم أكمله. ولأنّني كنتُ من محبّين القصة القصيرة، وممّن يكتبونها، وأثناء قراءاتي وجدتُ أنَّ هناك مَنْ يكتب عن الرّعب، وأنَّ هناك أدبًا كاملاً يختصّ في مجال الرّعب، فقرأتُ كتاب (القط الأسود) للكاتب الأمريكي (إدغار ألن بو).

ثم تعرّفتُ متأخّرًا من خلال الفيسبوك، ومن خلال منشور نعي كتبه أحد الأصدقاء، عن وفاة الكاتب الدكتور أحمد خالد توفيق، وشيئًا فشيئًا قرأتُ ما كتب الرجل، بل إنّي أستطيع أن أقولَ إنّي قرأتُ كلّ ما كتبه، فوجدته كوكبًا لا كاتبًا.

وفي مقابلة تلفزيونيّة مع الكاتب أحمد خالد توفيق، وهو كاتب للرعب، هكذا يُصنِّف نفسه ويُصنِّفه الآخرون، فيقول مُجيبًا عن السؤال المتعلّق بحبّه لكتابة الرّعب، قال: إنّه كان طفلاً خوّافًا يُفزعه كلّ شيء، لذلك حين أجاد الكتابة، قرّر أن يكون خلف المدفع لا أمامه، فبدل أن يترك الأفلام والقصص تُخوِّفه، قرّر أن يكتبها هو ليُخوِّفَ الناس.

في توقيعي لرواية (حفّار القبور)، واندراجها تحت أدب الرّعب، سألتني إحدى القارئات – من باب أنّها لم تجد شيئًا لتسأله غير هذا السؤال – «لماذا تكتب في الرعب؟»، فأجبتُها مبتسمًا: «لأنّي أريد أن أكون خلف المدفع لا أمامه». نظرَتْ إليَّ مستغربةً ومتعجّبةً، فاستطردتُ قائلاً: «ستجدين في الرواية رجلاً اسمه أبو لحاف، هذا الرجل لم تكن له قصة، كان فقط مُخيفًا، فكتبتُ قصته، فلم يَعُدْ يُخيفني، وتلك المرأة العجوز التي مات ابنها في الجيش، لن تلتفت أبدًا، هل تعرفين لماذا؟». هزّت رأسها ببلاهة، فأجبتُ نفسي: «لأنّها إذا التفتت مات الخيال، وحلَّ مكانه الواقع، والواقع مهما كان مخيفًا لن يشبه أبدًا ما ترسمه خيالاتنا من صور مرعبة».

هكذا غادرَتِ القارئةُ وهي تُحرِّكُ شفتيها لاعنةً اليوم الذي اقتنت فيه كتابي، والتفتُّ أنا إلى بوّابة المعرض، كانت تعلوها أقواس زجاجيّة، ظللتُ أراقبها وأنتظر أن تخرج لي تلك الكائناتُ بآذانها الطويلة، لكنّها لم تفعل، فتحرّكتُ إلى حيث الركن الموجود فيه كتابي، وظللتُ أراقب غلاف الكتاب وقد رُسِمَ عليه قطٌّ أسود، قطّ له عينان تشبه عينيَّ، ذلك الكائن في الحلم الذي أمسك بيدي، وبحث معي عن أمّي.

فتحتُ الكتاب وقرأت إهداء الكتاب الذي خصّصتُه لأمّي: «كان هناك فتاة يتيمة تضع رأسها في حجر أمها، وتستمع لقصص العجائز الفلسطينيات في حوش دارهم.. كُنَّ يتحدّثنَ عن الغولة وأبي رجل مسلوخة، وعن حكايات مرعبة لا تنتهي».

المختبر

- أدبُ الشّبابِ ورهاناتُ التغيير .... أ. د. عماد الضمور
- من جذورِ الملولِ إلى أركانِ المدن .... رنــــا غـريـزات
- نصائحُ (ريلكه) إلى المبدعين الشّباب .... موسى إبراهيم أبو رياش
- قائدُ الأملِ والتّحديات .... آمنة الدقامسة
- إنسانيّةُ القيادةِ في مواجهةِ الأزمات .... ثـائـر الملكاوي

حروفية الفنانة فاطمة الحمادي/ الإمارات

أدبُ الشّبابِ ورهاناتُ التغيير

أ. د. عماد الضمور*

عندما نتحدّث عن أدب الشباب أو إبداعهم في الفنون كافة، فإنّنا نذهب إلى تجلّيات الحداثة والمعاصرة في أدبهم، قبل الذهاب إلى أعمارهم الزمنيّة، نذهب إلى الروح التي يودعونها في أدبهم، وإلى تلك النظرة التي يبصرون من خلالها الكون، وينيرون بها الإنسانية.

إنّها يقظة الذات في مواجهة الواقع؛ ذلك أنَّ الحداثة ارتبطت بالرؤى والأفكار، قبل أن ترتبط بعمر مبدعها الزمنيّ، فهي حركة إبداع تواكب الحياة في تغيّرها الدائم، وهي في الوقت نفسه انعكاسٌ لحركة الزّمن المستمرّة، وانسجام لتنوّع الحياة الإنسانيّة وتطوّرها وفق رؤى وأفكار تنسجم مع الواقع بأبعاده المختلفة.

* ناقد أردني

قد تكون مرحلة الربيع العربيّ التي بدأت عام 2010م، وما تبعها من تغيّرات سياسيّة وفكريّة، أوجدت أرضًا خصبة لظهور مرحلة جديدة، ليس في الأدب فحسب، بل في الجغرافيا السّكانيّة، وما يرافقها من تغيّرات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة.

لعلّ هذا الانقلاب الفكريّ والطارئ، أوجد حداثة بمفهومها الزمنيّ والإبداعيّ معًا، إذ أصبح الأدباء أكثر قبولاً لحركة فكريّة تعالج الفن والأدب، وتحاول إرساء مفاهيم وقواعد جديدة أكثر قبولاً للحوار مع الآخر، وأقل انقيادًا لثقافة الأنموذج، بل وتعمد إلى إبراز أنماط سلوكيّة وفكريّة ذات مرجعيّات نقديّة وإبداعيّة جديدة.

لا نبحث في هذا السياق عن الحداثة مقابلاً للتراث، بل بوصفها ملهمة للأُطر المعرفيّة المعاصرة، وحاضنة لرؤى جديدة وليدة زمنها، وقائمة على بناء لغويّ يمتح من معين الثقافة الجديدة دون تقليد للآخر، حيث تتشكّل الرؤى مُحلّقة في فضاء الإنسانيّة، وتغوص في أعماق الروح وفق قوانين خاصة أوجدها المبدع لنفسه، منتجة أدبًا جديدًا بحاجة إلى سياقات تلقٍّ جديدة أيضًا.

لعلّ عنوان المرحلة إبداعيًا بروز الوعي المعرفيّ، وتجّذر الحداثة عند كثير من المبدعين العرب، وانزياح دائرة الاهتمام خارج الحدود المحلّيّة أو الأطر التقليديّة، إلى ثقافات جديدة وعوالم مختلفة من التخييل الروائيّ والسرد المدهش.

ما كان سائدًا قبل هذه المرحلة من رؤى حداثيّة استمرّ، لكن بعمق أكثر، وتحفّز فكريّ أعمق، وجرأة على طرق موضوعات جديدة من الأدب، والنظر إلى التكنولوجيا بوصفها حلقة من التطوّر المستمرّ، وهذا وضع الفنون السّرديّة أمام معترك جديد، ومخاضات فكريّة أكثر اتّساعًا واختلافًا عن المألوف.

تركّزت أعمال المبدعين من الشباب حول النظرة للواقع بتغيّراته المذهلة، وعدم قدرته على الاستقرار، إذ ابتلعت الأحداث السّرد، الذي أصبح يسير في ركابها وينقاد إلى مجرياتها.

لقد بات مشروع التحديث في الفكر والأدب حاجة مُلحّة وضرورة حتميّة، بل وحضاريّة أيضًا، وبخاصة ونحن ندخل الثورة الصناعيّة الرابعة، فإنَّ المبدع العربيّ أخضع نصّه الإبداعيّ للتقلّبات السياسيّة، وأصبح الأدب أكثر نبوءة للاستشراف والرصد معًا، محاولاً الوصول إلى إجابات مقنعة لحالة الحيرة والخوف من المستقبل، وهي حالة نفسيّة أصبحت تلازم المبدع والمتلقي على السواء.

إنَّ المُتتبّع لما يصدر من دواوين شعريّة ونصوص سرديّة في وقتنا المعاصر، يدرك قوة الحضور الذهنيّ في إبداع هذه المرحلة، وهو حضور دائم التواصل مع التاريخ الإنساني؛ لما يبعثه من رؤى، ويوفّره من حاضنة للمشاعر الإنسانيّة القادرة على استيعاب الجرح النازف، ولملمة التبعثر الفكري الذي أحدثته هذه المرحلة من تغيّر وتجدّد معًا. فنجد دفقات من الحزن قد تبلغ حدّ اليأس أحيانًا، وتنهض بأمل ضبابيّ أحيانًا أخرى، حيث تتداخل في أدبهم الهموم الشخصيّة بالوطنيّة في ظلّ رغبة جامحة بالإصلاح، وتجاوز حالة اليأس ضمن طموح مشروع يمتح من معين التاريخ روحًا جديدة، وعظات مضيئة.

يمكن الإفادة منها في ظلّ نظام عالميّ جديد، اختلطت فيه الثقافات والسياقات والرؤى، وهذا جعل الأدب ميدانًا واسعًا للاستشراف ومعايشة حركة التغيير، وترجمة لمعاناة متراكمة، وصولاً لإنسانيّة الأدب ورسالته السامية في النهوض والإمتاع معًا.

لعلّ ما يُميّز هذه المرحلة انتشار مفهوم الأدب الرّقميّ في الحياة الثقافيّة بعدما تغلغلت الرّقميّة في الحياة العامة، وهو أحد إفرازات التكنولوجيا، والتقنيّة الرّقميّة التي شملت جميع مجالات الحياة بما فيها اللغة، لذلك فإنَّ الأدب الرّقميّ مصطلح جديد في الكتابة الأدبيّة المعتمدة على التكنولوجيا الحديثة والوسائط المتعددة؛ لإنتاج نصوص تفاعليّة ترابطيّة، يمكنها التشكّل حاسوبيًا على هيئة صورة، أو نصوص قصيرة، أو لوحة فنّيّة تمزج اللغة بعلم الحاسوب.

إنَّ ربط الأدب بالحوسبة والذكاء الاصطناعيّ ضروريّ لتقديم أنفسنا بطريقة أكثر فاعليّة، بعدما فرضت العولمة وسياسة اقتصاد السوق والثورة الرّقميّة تغيّرات مهمّة في مجالات متعدّدة، منها الأدب، وبخاصة أدب الصورة والإشهار والكتابة النثريّة القصيرة.

لقد أسهمت جائحة كورونا التي اجتاحت العالم في إنتاج أدب جديد، يُمعن في إحداث المشاركة الوجدانيّة، وإعلاء القيم الإنسانيّة النبيلة، فضلاً عن إسهامها في نشر الأدب الرّقميّ في ظلّ العزلة والحجر الصحيّ الذي دفع إلى مضاعفة توظيف التكنولوجيا والارتباط الوثيق بها في مجالات الحياة كافة، وهذا انعكس على الأدب الذي جعل من الرّقميّة سمة ملازمة للعصر على مستوى المبدع والمتلقي.

لعلّ هذا التحوّل المهمّ الذي أحدثته التكنولوجيا في الأدب انعكس على الجنس الأدبيّ شكلاً ومضمونًا، فازداد كُتّاب الأقصوصة والومضة الشعريّة، وأصبحت ثقافة الصورة ملازمة للإبداع الأدبيّ شعرًا ونثرًا.

يرصد القارئ لإنتاج الشباب في هذه المرحلة موقفًا إنسانيًا وإبداعيًا واضحًا، فهم أوفياء للمكان برصيده الفكريّ وتكوينه الوجدانيّ، وصولاً لاستشراف المستقبل ضمن سياقات ثقافيّة تُلامس الأحاسيس والمشاعر، وتشحن العقول بالأسئلة التي تتخطّى الواقع بفاعليّة التمرّد والثورة معًا، إذ ظهرت مفاهيم ورؤى ذات منبع حداثيّ غير منقادة للغرب أو للتراث، بل لضرورات الواقع ومتطلّبات التغيير التي تتطلّب تحديثًا وتنويرًا مستمرًا، وليس استجداءً واستهلاكًا لما يُنتجه الآخر من فكر أو معرفة.

وإذا كانت الحداثةُ سكونًا، فإنَّ التحديث حركة فاعلة، ينهض بها الشباب انتصارًا للإنسانيّة وقيمها النبيلة في ظلّ سعي محموم لإنتاج معرفة مضادة للسكونيّة والتقليد، تسعى للمعاصرة دون إخلال بمنظومة العقل، وهذا ما جعل أدب هذه المرحلة يقع رهينة تحديات كثيرة، أهمّها صراع الهُويّة والقيم من جهة، والوفاء بمتطلّبات المرحلة التاريخيّة من جهة أخرى، إذ إنَّ التحديث هو استجابة آنيّة تحقّق إنجازًا في مرحلة التغيير، ثم ما تلبث أن تنتهي لتبدأ مرحلة فكريّة جديدة.

لقد حاول أدباء هذه المرحلة التحرّر من التبعيّة الثقافيّة المقيتة باستلابها الفكريّ، وانبهارها الأعمى بالآخر المختلف، وإن كان مدهشًا أحيانًا، لذلك أنتج أدباء هذه المرحلة خطابًا تجديديًا بوعي معرفيّ مختلف، وفهم حضاريّ جديد، يقوم على إخضاع التراث لسلطة الذات والعقل فكريًا، وتأسيس النص برؤى حداثيّة متّقدة فنيًا.

إنَّ غزارة الإنتاج السّرديّ الأردنيّ في السنوات الخمس الأخيرة، وما رافقه من حضور عربيّ واضح، جعل من الرواية الأردنيّة صوتًا مسموعًا وفضاءً واسعًا تتداخل فيه الأجناس الأدبيّة والفنون البصريّة.

بروز الفضاء الإنسانيّ سمة واضحة في أدب هذه المرحلة، وهذا يضع الشباب أمام حالة ثقافيّة جديدة على مختلف مستويات الإبداع الأدبيّ، الأمر الذي يترتّب عليه اتّساع شريحة القرّاء، وزيادة الوعي بدور السرد وأهميّته التفاعليّة مع مجتمعات مأزومة تعاني من الخذلان والانكسار.

لعلّ مقدرة الأدب على الانتقال من المحلّيّ إلى الإنسانيّ، أحد المقاييس الأدبية المهمّة التي يمكن من خلالها الحكم على أدب هذه المرحلة بالتميّز والإبداع، فضلاً عمّا يُحقّقه هذا الأدب من قدرة على قبول الآخر، ومحاورته تحقيقًا للتجاوز، وتأكيدًا لترسيخ هويّة الأمة ووجودها الحضاري، أمّا المعايير الجماليّة بتقنياتها البنائيّة، فهي من متطلّبات الفنّ أصلاً، وتحقّقها ضروريّ لقبول العمل الأدبيّ، ثم قدرته على خرق الرؤى التقليديّة، وضرورة تميّزه شكلاً ومضمونًا ثانيًا.

ولمّا كان الاحتفاء بكلّ ما هو جماليّ في النصّ الأدبيّ، يخضع لعمليات التلقي والتأويل، فإنَّ دور جمهور القرّاء والنقاد ضروريّ أيضًا لتقديم معرفة عميقة تمتدّ للآخر، فتمنحه التنوّع في ظلّ تفاعل حضاريّ مثمر، يقتحم آفاقًا جديدةً بأساليب جديدة أيضًا.

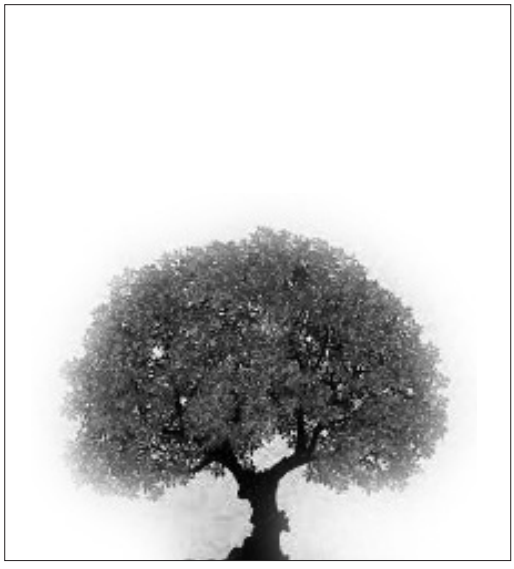

من جذورِ الملولِ إلى أركانِ المدن

رنـا غريـزات

بـينَ أشـجار الملـول والسّـنديان والصّنوبـر، تولـد ذكريـاتُ مـاضٍ يعـجّ بـكلّ مـا هـو جميـل وبسـيط ومميّـز، ذكريـاتٌ شـامخةٌ راسـخةٌ لجيـلٍ لـم يتـوانَ عـن العمـل مـع والديـه في الأرض، ويسـاعدهم في الأعمـال اليوميّـة، فبالرغـم مـن ضغـوط الحيـاة والمهـامّ الموكلـة إليـه، فـإنَّ بِـرَّ الوالديـن من أهمّ أولوياته، فاحترامهما وحسـن التعامل معهما قيم إنسـانيّة أخلاقيّـة بالدرجـة الأولـى، ولهـا أهمّيّـة خاصّـة عنـد كلّ فـرد منهـم، وهـذا أسـاس تنشـئة ذلـك الجيـل.

ولأنَّ الوالديـن همـا المسـؤولان عـن تربيـة أبنائهـم، ولهمـا فيهـم دور كبيـر وفعّـال، كان التعليـم مـن أهـمّ المراحـل التـي اهتمّ بهـا الأبـوان، ووجـب علـى أطفالهـم أن يُكملـوا جميـع مراحـل الدراسـة مـن الابتدائيّـة إلـى الجامعـة، فشـهادة العلـم بالنسـبة لهـم سـلاح ذو حديـن، أي إنّهـا سـلاح ضـد الجهـل، وأيضـاً ترفـع مـن شـأنه في المجتمـع.

فهذا الجيل ينتقل إلى حاضرٍ بنى من خلاله أحلاماً؛ ليعيش مستقبلاً أفضلَ ومشرقاً ومنفتحاً، فكان مع نسمات الصباح يستيقظ ليبدأ يومه، بالزراعة والغمار والحصاد، وسقاية المواشي ورعيها، ومن ثمّ تعليم يحاول من خلاله تطوير معرفته ورؤيته المستقبليّة؛ ليكون له شأن بين أقرانه ومكانة في المجتمع، فكان هذا الجيل لا يعرف معنى الراحة، ولا يتأثّر بحرارة الشمس ولا ببرد الشتاء.

وهؤلاء يولد معهم الإصرار والعزيمة والمثابرة لتحقيق ما يطمحون له، وتعزيز وتبسيط كلّ الطرق التي تؤدّي إلى ما يريدون الوصول إليه، من معرفة ودراسات عليا، إلى أعلى درجات العلم، والبحث عن وظائف تناسبهم، سواء كانت داخل قريتهم أو خارجها، فهذا إن دلَّ على شيءٍ، فإنّما يدلّ على بداية التطوّر والتفكير خارج الصندوق لتغييرٍ جذريّ؛ لكي يواكب العلم والثقافة، والمعرفة والتقدّم.

إنَّ اكتساب مهارات التفكير والتواصل الإبداعيّ في ذلك الحين، كان عن طريق التثقيف بصقل الشخصيّة، بقراءة الكتب، والذهاب إلى دور القرآن (الكتاتيب)، والجلسات العائليّة، ومجالس البلدة، فكان هذا كلّه يزيد مدى الإدراك والفهم، وتطوير مفهوم التعلّم لكلّ ما هو جديد، وطلب المزيد منه؛ لأنّه يفتح آفاقاً من المعلومات القيّمة والمهمّة بالنسبة لهم، ومن ثمّ ينتقل إلى أقارب له في المدينة لتكملة مراحل تعليم الثانويّة، ومن ثم الانتقال إلى الجامعة، فالدراسة الجامعيّة مرحلة جديدة تنقلهم من جذور الملول إلى أركان المدن.

أنا أجزم أنَّ هذا الجيل الذي يمتلك من الفكر ما يربط بين حياة الأصالة والعراقة، والعادات والتقاليد الاجتماعيّة الموروثة، وبين التطوّر والثقافة، ما هو إلا التقاء فكريّ ثقافيّ، يحاكي الماضي والحاضر والمستقبل، فيعلم ما له وما عليه، وبعيد كلّ البعد عن صراع الأجيال، بل يعلم أنَّ كلَّ ما هو جديد متجذّر ومتمسّك بكلّ ما هو قديم، وأنَّ صفة التكامليّة بين التنمية الاجتماعيّة وجودة الحياة، لا يمكن الاستغناء عنها مع الماضي الذي يحمل في طيّاته الكثير من العبر والدروس والأفكار التي رُسِّخت في وجدانه.

ويعلم أنّه كشجرة الملول العتيقة المتأصّلة، الباقية المعطاءة، المنتمية إلى ركن الزمان والمكان، التي تتمتّع بقدرة عجيبة على مقاومة الظروف الطبيعيّة القاسية، فتتحمّل الجفاف والبرودة من دون أن تشكو، وجذورها التي تمتدّ وتمتدّ لتُثبِّتها على أرضها؛ لتعاصر كلّ الأجيال، وتحمل حكايا البيت القديم، ودفء الأيام، وحنان الذكريات، وأنّه أيضاً كمدينة مزدهرة متطوّرة، تتطلّع إلى كلّ ما هو جديد وفريد؛ لتمهيد كلّ الصعوبات والتحدّيات وتذليلها أمامه؛ للوصول إلى مبتغاه وتطوير معرفته، وتحسين طريقة تفكيره، والخروج بها بعيداً عن نطاق المألوف والمعتاد.

نصائحُ (ريلكه) إلى المبدعين الشّباب

موسى إبراهيم أبو رياش

«عندما يتكلّمُ شخصٌ عظيمٌ وفذٌّ، فعلى الصغار أن يصمتوا».

يُعَدُّ «رينيه ماريا ريلكه» (1875–1926)، من أميز الشّعراء المعاصرين الذي كتبوا بالألمانيّة، وهو شاعر نمساويّ، تنقّل وعاش في بلدان عديدة، منها السويد، والنمسا، وألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وروسيا، وشمال إفريقيا، ومصر، وغيرها. عُرِفَ بوجوديّته ورومانسيّته، وسعيه إلى الحداثة والغموض وقوة التعبير، كتب المسرحية والرواية والشعر، بالإضافة إلى الترجمة.

لكنَّ أشهرَ أعماله مجموعتاه الشعريّتان: (مرثيات دوينو)، و(قصائد أورفيوس)، بالإضافة إلى كتابه (رسائل إلى شاعر شابّ)، الذي تتناول جانبًا منه هذه المقالة، وهو عبارة عن عشر رسائل، كتبها ريلكه إلى شاعر شابّ في العشرين من عمره، بدأت برسالة من الشابّ (فرانتس زافر كابوس)، مرفقة بقصائد له، يطلب تقييمها ونصيحته، وأرفق معها رسالة يتحدّث فيها عن نفسه دون تحفّظ، كما لم يفعل من قبل ولا من بعد.

بدأت الرسائل من 17 فبراير 1903 إلى 4 نوفمبر 1904، ولكنَّ عاشرتَها أُرسِلَتْ بعد انقطاع في ديسمبر 1908، وهي رسائل عميقة واضحة، لا مجاملة فيها، تتضمّن نصائح وتوجيهات وإرشادات للشاعر الشاب، بالإضافة إلى تحذيرات وتنبيهات، وإشارة إلى كتب لقراءتها والتعمّق فيها، والاستفادة منها شكلًا ومضمونًا. ونصائح ريلكه ليست مقتصرةً على الشّعراء الشّباب، بل تصلح لجميع الشّباب المبدعين في القصة والرواية والمسرحية، وغيرها من الفنون الإبداعيّة.

ترجم هذه الرسائل صلاح هلال عن اللغة الألمانيّة، وصدرت في القاهرة عام 2018، عن دار الكرمة للنشر، في 60 صفحة، وهي التي استندت إليها هذه المقالة، علمًا أنَّ أول ترجمة عربيّة لها كانت لأحمد الدريني عن اللغة الفرنسيّة، صدرت عام 2005 عن دار أزمنة في عمّان، كما ترجمتها حنين الرحيلي، وصدرت في بيروت عام 2019 عن دار الرافدين.

وتشير هذه المقالةُ إلى بعض النصائح والتوجيهات من ريلكه إلى الشاعر الشابّ فرانتس زافر كابوس، الذي يقول في مقدمته للرسائل، مبيّنًا أهميتها وقيمتها: «تكتسب أهميتها من إعطائنا نظرةً على العالم الذي عاش فيه راينر ماريا ريلكه وأبدع، كما أنّها مهمّة أيضًا لكلّ مَنْ هم في مرحلة النضج والتطوّر، اليوم وغدًا، وعندما يتكلّم شخصٌ عظيمٌ وفذٌّ، فعلى الصّغار أن يصمتوا».

1- لا تكتب إلّا إذا كانت الكتابة دونها الموت، ويقصد ريلكه أنَّ الكتابة الإبداعيّة لا يمكن أن تكون تكلّفًا، أو بقرار وبرمجة، أو عند الطلب، بل هي حاجة مُلحّة، ودافع ضاغط، وضرورة لا يستطيع لها الكاتب دفعًا، عندها، وعندها فقط، فليكتب، حتى يستريح ويُخفّفَ عن كاهله ما أثقله. يقول: «اسأل نفسك إذا كانت الكتابةُ بالنسبة إليك دونها الموت، نقّبْ في نفسك عن إجابة عميقة، وإذا كان الردّ بالإيجاب، فعليك أن تبني حياتك تبعًا لتلك الضرورة، يجب أن تصبح حياتك، حتى لحظاتها التي لا تكترث لها تمامًا، تعبيرًا عن هذه الضرورة المُلحّة وشاهدًا عليها».

2- عبّر عمّا ترى وتعايش وتحبّ وتفقد، لا تقتحم الموضوعات الكبرى مثل الحبّ، المشبعة كتابةً؛ لأنّها تحتاج إلى نضج وإبداع منقطع النظير؛ لتأتيَ بجديد مختلف، ولكن اكتب عن «حياتك اليوميّة، صِفْ أحزانك وأمانيك، والأفكار التي تعترضك، وإيمانك بأيّ جمال ما، صِفْ ذلك كلّه بصدق حميم وهادئ ومتواضع، واستخدم الأشياء الموجودة في محيطك؛ لتُعبِّرَ عن نفسك، والصور التي تُظهر أحلامك، والأشياء التي تحتفظ بها ذاكرتك».

3- استعِدّ طفولتك، عندما تتعسّر كتابة الشّعر بحجّة أنّ الحياة قاحلة، فهذا لأنّ الذي يشكو من ذلك ليس شاعرًا بما يكفي؛ «لأنَّ الإنسان المبدع لا يعرف الفقر، وحتى لو كنت حبيس سجن، تمنع أسوارُه أصواتَ العالم من أن تترامى إلى مسامعك، أفلن تبقى لديك طفولتك، ذلك الثراء الملكيّ المُمتِع، خزانة الذكريات تلك؟ حاول أن تستعيد الأحاسيس التي غابت في غياهب ماضٍ بعيد، عندها ستترسّخ ملامح شخصيتك، وسيتّسع فضاء وحدتك؛ ليصبح منزلًا في ساعة الشّفق، يمرّ ضجيج الآخرين بعيدًا عنه». فالحياة – وخاصة مرحلة الطفولة حسب ريلكة – مخزونٌ لا ينضب من الأحاسيس والمشاعر والذكريات، يتجاهلها الكثيرون؛ ظنًّا منهم أنّها لا تستحق، أو أنّها عادية غير مثيرة، ولكن، إذا كانت حياتك لا تستحقّ، فحياة مَنْ إذن؟

4- لا تنتظر مكافآت، الكتابة ليست قدرًا، ويمكن أن يعيش الإنسان دون كتابة، ولكن إذا أدركتَ بعمقٍ أنّك شاعر أو فنّان، وقدرك أن تبدع، فعندها «خُضِ المغامرةَ، وتحمّل هذا القدر بمعاناته وعظمته، دون أن تطلب أبدًا المكافأة التي يمكن أن تأتي من الخارج؛ لأنَّ المبدع يجب أن يكون عالَمًا قائمًا بذاته، وأن يجد كلَّ شيءٍ في داخل نفسه وفي الطبيعة التي ارتبط بها»، فحوافز الإبداع داخليّة، وما عداها فخاخ أو مطبّات، وتعمل على نفخ المبدع، وإيقاعه في مصيدة الوهم.

5- استغل السّخرية بحكمة، السّخرية المجّانيّة غير المحسوبة تقتل الإبداع، لذا على الكاتب أن يوظّفها بحكمةٍ وبقَدْرٍ، لا يخرجها عن وظيفتها، وأسوأ ما يصيب الكاتب أن يقع في فخّ السّخرية، ويدعها تسيطر عليه وتسوقه دون تبصّر. وإذا شعر الكاتب أنّه ألِفَ السّخريةَ أكثرَ ممّا ينبغي، فعليه أن يتوقّف، ثم يقول ريلكه: «أدِرْ دفّتك صوب أمور عظيمة وجادّة، تبدو السّخرية أمامها ضئيلة وعاجزة، ابحث عن أعماق الأشياء، فهناك لا يمكن أن تسقط السّخرية أبدًا».

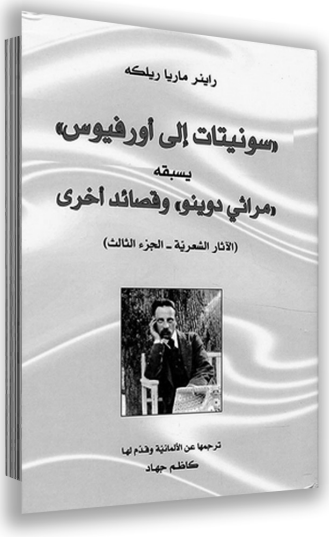

6- عليك بالشّكّ لتُبدع، الشّكّ ضرورة حتى لا يقع الكاتب في فخّ السّذاجة والاستسهال والسّطحيّة، وإذا أحسنَ الكاتب استغلال الشّكّ، يتحوّل إلى نقدٍ مُنتِجٍ يؤدّي إلى تجويد العمل والارتقاء به. يقول ريلكه عن تطويع الشّكّ وترويضه: «كلّما حاول إفساد شيء عليك، اطلب منه الأدلة، اختبره، اطلب أدلةً، وتصرّف بانتباه واتّساق، وسيأتي اليوم الذي سيتحوّل فيه من مُدمّر إلى واحد من أفضل عمّالك، وربما سيصبح أذكى العمّال الذين يبنون حياتك».

7- اصبرْ ولا تستعجِلْ، فالإبداع نقيضُ الاستعجال والقفز والأجوبة الجاهزة، ويتطلّب التواضع والتدرّج، والصبر والتأنّي، والتعايش مع الحياة، والأسئلة المغلقة والثقة الكبيرة بكل ما يأتي، يقول ريلكه للشاعر الشابّ: «إنّكَ لا تزال شابًّا، تقف على أعتاب البدايات، ولعلّي أرجوك أن تتحلّى بالصّبر في مواجهة كلّ ما لم تجد له حلّاً في قلبك، وأن تحاول أن تحبّ حتى الأسئلة نفسها، وكأنّها أدراج مغلقة، أو كتب مكتوبة بلغة شديدة الغرابة، لا تبحث الآن عن الإجابات التي لا يمكن أن تُعطى لك؛ لأنّك لن تستطيع أن تحياها، والأمر يتعلّق بأن تعيش كلّ شيء، عِشِ الأسئلةَ الآن، ربما يجعلك ذلك تعيش يومًا ما، بالتدريج في الإجابة، من دون أن تلاحظ، ربما تكون بداخلك القدرة على البناء والتشكيل بوصف ذلك طريقة فريدة ونقيّة للحياة، رَبِّ نفسَك على ذلك، ولكن خُذْ ما يأتي بثقةٍ كبيرةٍ، وإذا جاء ذلك من محض إرادتك، ومن ضرورةٍ ما في داخلك، فتقبّله ولا تكره شيئًا».

8- تمسّك بالطبيعة والأمور الصغيرة، التمسّك بالطبيعة من حولنا، والأمور الصغيرة فيها التي قد لا يراها أحد، مقرونًا بالحُبّ والتواضع والثقة بكلّ ما يبدو فقيرًا، يؤدّي في الغالب إلى نتائج باهرة، وتجعل المرء «أكثر توحّدًا وتصالحًا مع نفسه بطريقةٍ ما، ربما ليس على مستوى العقل، الذي سيُترَكُ مندهشًا، ولكن في أعماق وعيك ويقظتك ومعرفتك».

9- لا تنظر خارجك، ينصح ريلكه الشابّ بأن يتطوّر في مساره الإبداعيّ بهدوء وجدّيّة، معتمدًا على إحساسه الداخليّ، وإجاباته الذاتيّة المُستخلَصة من حياته وتجاربه وسعيه، وألّا ينظر للخارج، وينتظر إجابات عن أسئلته الخاصة من غيره مهما كان مبدعًا، ويقول للشاعر الشابّ عن إبداعه ومساره الذاتيّ: «لا يمكنك أن تعرقله بأكثر من أن تنظر إلى خارجك، وأن تنتظر إجابات تأتيك من الخارج عن أسئلة ربما لا يمكن أن يقدّمها لك سوى إحساسك العميق في أكثر ساعاتك سكونًا».

10- دَعْ لأحكامك التّطوّر بهدوء، يرى ريلكه أنَّ الحكم النقديّ، وتكوين رؤية ذاتيّة عن الأعمال، يتطلّب نموًا بطيئًا؛ حتى ينضجَ دون تسرّع أو تدخّل، يقول: «دع لأحكامك التطوّر الساكن الهادئ الخاصّ بها، الذي يجب أن يأتي – وشأنه في هذا شأن أيّ تقدم – من أعماق الداخل، ولا يمكن لشيء أن يدفعه أو يُسرّع خطاه، فكلّ شيءٍ يحتاج أولًا إلى فترة حمل، ومن ثَمّ يولد. أن تدع كلّ انطباع وكلّ نواة شعور تكتمل في ذاتها، في الظلام، في ما لا يمكن التعبير عنه بالكلام، ولا إحاطته بالوعي، ولا الوصول إليه بالعقل، ثم أن تنتظر في خشوع عميق وصبر ساعة ميلاد وضوح جديد، هذا وحسب ما يمكن تسميته (الحياة الفنّيّة)، سواء على مستوى الفهم أو الإبداع».

وبعد، فإنّه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ هذه النصائح والإرشادات ليست قانونًا أو قواعد ثابتة أو حقائق معتمدة، بل هي حصيلة تجارب ريلكه وفكره وقناعاته، رؤية ذاتيّة، ولا يُمكن أن يُؤخذ بها دون تمحيص أو نظرة شكّ نقديّة، ولكنّها إشارات على طريق الإبداع، وعلى كلّ مبدع شابّ أن يضعها في الاعتبار، فإنّها إن لم تأخذ بيده فلن تُضلّله.

قائدُ الأملِ والتّحديات

آمنة الدقامسة

في 30 **كانون الثاني** من كلّ عام، يتسامى الفرح في أرجاء المملكة الأردنيّة الهاشميّة، وها نحن في هذه الأيام نتفيّأ ظلال مناسبة عزيزة على كلّ الأردنيين، كباراً وصغاراً، ألا وهي «**عيد ميلاد جلالة الملك عبد الله الثاني والسّتون**»، إذ يتجلّى التقدير والاحترام لهذا القائد الحكيم، الذي يُمثّل قامةً وطنيّةً تتسارع بخطواتها نحو تحقيق الرخاء والاستقرار.

يرفع الشّعبُ الأردنيّ شعار التهاني والتبريكات إلى عرشه العظيم، مُعلناً بذلك حبّه الكبير، وتقديره العميق لهذا القائد الحكيم. إنَّ ملكنا العزيز، جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين، يُشكّل رمزاً للتواضع الذي يتّسم به، فهو يتحلّى بروح القائد الحكيم، الذي يفهم تماماً طبائع شعبه ويعي تحدّياته. إنَّ تواصله الدائم مع المواطنين، المباشر وغير المباشر، واهتمامه

العميق بقضاياهم، يجعل منه قائداً محبوباً لدى الجميع، ويُظهر جلالته الاهتمامَ الكبيرَ بالشّباب، ويُعَدّ من روّاد التواصل الفعّال مع الشباب الأردنيّ، ويُظهر تقديره العميق لهذه الفئة الحيويّة، ويُشجّع على مشاركتها الفعّالة في بناء المستقبل، ويتمثّل هذا في توجيه اهتمامه نحو طاقات الشّباب، والتفاعل مع أفكارهم البنّاءة ومقترحاتهم، ممّا يعكس الإيمان بأهميّة دورهم في تحقيق التنمية والابتكار.

يدعم جلالته المُفكّرين والأدباء، ويُشجّع على الإبداع الفكريّ والأدبيّ، ويروّج للحوار الثقافيّ، ونلمس تقديره للمبادرات الفكريّة والأدبيّة التي تُسهم في إثراء الحياة الثقافيّة في المملكة، ويُشجّع على تقديم الدّعم الفعّال للكتّاب والفنّانين، الذين يسهمون في نقل الفكر والثقافة الأردنيّة إلى آفاق جديدة. وإنَّ الدعم المستمرّ للمفكّرين والأدباء، يعكس رؤية الملك الثاقبة في تحفيز الإبداع وتشجيع الابتكار، ممّا يُعزّز مكانة الأردن كمركز حضاريّ وفكريّ، يسهم في بناء مجتمع حديث ومتقدّم.

في هذا اليوم المُميّز، نستذكر مسيرة حياة جلالته، الذي سار على خطى آبائه وأجداده، مُحقّقاً إنجازاتٍ كبيرةً في ميدان البناء والتنمية، اقتصاديّاً، وسياسيّاً، واجتماعيّاً، وثقافيّاً. والأهمُّ من هذا الاهتمامُ بصحّة المواطنين، من خلال الإنشاء المستمرّ للمستشفيات والمراكز الصّحّيّة، ومراكز التوعية والرعاية والتأهيل، وسلاحه الأول هو الدين والعلم والثقافة.

إنَّ التزامه بقيم العدل والتسامح يعكس رؤية حديثة للحكم والتطوير، ولا يمكننا الفصل بين شخصية جلالته ودفاعه الحميم المستمرّ عن القضية الفلسطينيّة، إذ يظلّ جلالته الملتزم الأول بحقوق الشّعب الفلسطينيّ ومأساته، مؤكّداً على الدور الرائد للأردن في دعم السلام والاستقرار في المنطقة.

في هذا اليوم السعيد، يكون عيد ميلاد جلالة الملك عبد الله الثاني يومَ فرحٍ لكلّ أردنيّ، إذ يتجدّد العهد بالوفاء والولاء لقائد نبيل، ورائد محبوب من قبل شعبه. في يوم ميلاد جلالة الملك عبد الله الثاني، يتجلّى تأثيره العظيم على مسار التطوّر

الوطنيّ، والدور البارز الذي يلعبه في بناء مستقبل الأردن، ولا شكَّ أنَّ التواضع الذي يتحلّى به جلالته يُمثّل مصدر إلهام للجميع، فهو يتفاعل مع الشعب بكلّ شفافيّة، ويبني جسوراً قوية من التواصل والتفاعل المبنيّ على الثقة والاحترام المتبادل.

كما لا يقتصر دور جلالة الملك عبد الله الثاني على الساحة الوطنيّة فحسب، بل يتجاوز الحدود؛ ليشمل دوراً ريادياً في تعزيز السلام والتفاهم الإقليميّ، إنَّ رؤيته الحكيمة تسعى إلى تحقيق استقرار المنطقة، وتعزيز التعاون الإقليميّ، ممّا يجعل منه رمزاً للحكم الرشيد والرؤية المستقبليّة.

جلالة الملك يُمثّل رمزاً للعدالة، ويتجسّد «فارس العدالة» الذي يحمل راية العدالة والتسامح في قلوب كلّ الأردنيين. إنَّ قيادته الحكيمة تعكس تفانيه في تعزيز قيم العدالة، وتشجيع التسامح بين مكوّنات المجتمع الأردنيّ، ويستلم جلالته دفّة القيادة برؤية استباقيّة، تجمع بين الحكمة والإنسانيّة، ويعمل جاهداً لتعزيز التضامن والتعايش السلميّ، وبفضل جهوده الدؤوبة، فإنّنا نرى العدالة في كلّ قرار يتّخذه، والتسامح هو الطريق نحو فهم مشترك وتعزيز الوحدة الوطنيّة.

جلالة الملك عبد الله الثاني حفظه الله ورعاه ليس حاكماً فحسب، بل قائداً يؤمن بأنَّ عدالة المجتمع والتسامح هما أساس بناء وطن قائم على المبادئ الإنسانيّة، وفي زمن تحدّيات العالم الراهن، يمضي قدماً بقوة نحو تحقيق رؤية أردنيّة مستديمة، إذ تظلّ القيم المجتمعيّة شعلةً تُنير الطريق نحو مستقبل أفضل للأردن وشعبه.

ويُكرّس جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين نفسه كرمز للتلاحم الاجتماعيّ، وهو القائد الذي يحمل قضية العدالة في قلبه، ويظهر تفانيه في تحقيق العدالة في مبادراته وسياساته، ويسعى الملك الحكيم إلى تحقيق التوازن بين الحاجة إلى العدالة، والتفاهم، والتسامح؛ لتعزيز الوئام في المجتمع، ويظهر جلالته في كلّ خطوة شريكاً في بناء الوطن، ممّا يعكس تصميمه على تحقيق مستقبل زاهر للأردن وشعبه المُخلِص.

يوم ميلاد جلالة الملك عبد الله الثاني هو عيد لكلّ أردنيّ، فهو يُمثّل فرصةً للتعبير عن فخر الأردنيين واعتزازهم بقائدهم، الذي يجمع بين الحكمة والتفاني في خدمة وطنه، وهو يبادلهم هذا الشعور، حتى أصبح كلّ الأردنيين يُطلقون عليه «سيدنا»، وهو يبادلهم هذا الشعور الجميل بقوله «النشامى»، وأصبحت هذه الكلمات دالّة على الأردنيين ومحبّتهم لقائدهم، الذي يبادلهم نفس المحبة، هذا اليوم ليس ميلادًا كأيّ ميلاد، هو ميلاد لكلّ فرد في هذا الوطن، إذ يتجلّى التضافر الوطنيّ في الاحتفال بشخصيّة قائد لها تأثير كبير على مسار التطوير والازدهار.

وإلى جانب حكمة جلالته في إدارة الشؤون الداخليّة، يتجلّى تفكيره أيضاً في مواقفه الخارجيّة، إذ يسعى إلى تعزيز التعاون الإقليميّ والدوليّ، والمساهمة في تحقيق السلام والاستقرار على الساحة الدوليّة، وحكمته ليست مقتصرة على الجوانب السياسيّة فقط، بل تتعدّى ذلك لتشمل كلّ جوانب الاقتصاد والتنمية والثقافة، ويعمل بجدّ وحكمة؛ لتحقيق رؤيته لمستقبل أفضل للمملكة وشعبها، ويولي قضايا أمّته وشعبه أولوية.

يفرح الأردنيّون بميلاده الميمون، ويستذكون ويرون فيه الملك الباني المغفور له بإذن الله الملك الحسين بن طلال رحمه الله تعالى، من ميزات جلالته أنّه يفرح لفرح شعبه، ويحزن لحزنه، ويمثّل مثالاً حيّاً للقائد الذي يشعر بحاجات وتطلعات شعبه في كلّ لحظة، فلا يكتفي بالوقوف في قصره، بل يتواجد بين أفراد شعبه، يشاركهم فرحهم، ويكون إلى جانبهم في الأوقات الصعبة.

وفي إطار رؤيته الحكيمة المستقبليّة، يسعى جلالة الملك عبد الله الثاني إلى رفع مستوى الخدمات في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، من خلال التركيز على تحسين البنية التحتيّة، وتطوير القطاعات الحيويّة.

يتبنّى جلالته إستراتيجيّات تنمويّة تهدف إلى تعزيز الاقتصاد الوطنيّ وتحفيز الاستثمار، ممّا يسهم في توفير فرص العمل، وتحسين مستوى المعيشة للمواطنين، من خلال التفاني في تعزيز الأمن المجتمعيّ. يعكس جلالة الملك رؤيته في توفير بيئة آمنة ومستقرّة للمواطنين والمقيمين، ويولي جلالته اهتماماً خاصاً لتعزيز الشعور بالأمان في المجتمع، ويعمل جاهداً على مكافحة التحدّيات الأمنيّة بكلّ حزم وفعاليّة، ويؤكّد على أهمّيّة دور التراث والثقافة في تعزيز الوحدة الوطنيّة، وتعزيز القيم الوطنيّة بين مختلف الطوائف والثقافات، ممّا يجسد التزامه الحقيقيّ بتحقيق تقدّم شامل يعمّ الجميع.

في هذا اليوم المميّز، نتوجّه بأصدق التهاني إلى جلالة الملك عبد الله الثاني حفظه الله، ونتمنّى له عاماً جديداً مليئاً بالإنجازات والتقدم، ونتوجّه بالدعاء إلى الله تعالى أن يحفظه ويحميه، ويوفّقه في رسالته النبيلة، وإنّنا إذ نرسل أطيب التهاني والتبريكات إلى جلالة الملك عبد الله الثاني في عيد ميلاده الميمون؛ لنرجو الله أن يمنحه طول العمر والصحة والعافية؛ ليستمرّ في رعاية وطنه وشعبه على خطى آبائه وأجداده.

وفي الختام، نسأل الله أن يُديم على المملكة الأردنيّة الهاشميّة نعمة الأمن والأمان؛ لتظل رمزاً للتسامح والتعايش في هذا العالم المُعقّد، المليء بالصّعاب والتحدّيات.

إنسانيّةُ القيادةِ في مواجهةِ الأزمات

ثـائـر الملكـاوي

في عالَمٍ تعتريه الآمال والصراعات، تبرز قيادات حملت أعباء الإنسانيّة على عاتقها، قادة يُثبتون للعالم أجمع أنّهم خيرُ خلفٍ لخيرِ سلف، يلتزمون بقضايا شعبهم وأمتهم، يفرحون لفرحهم، ويحزنون لحزنهم، ولا يتوانون عن فعل الخير، شغلهم الشاغل إحقاق الحقّ، والوقوف في وجه الظلم، قادة يتّسمون بالقدرة والبراعة في فهم الآلام الإنسانيّة والتفاعل معها.

يظهر جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين – حفظه الله – من بينهم كالشمس في كبد السماء، يُظهر عمق الرؤية الإنسانيّة العميقة، والحكمة، والحنكة السياسيّة والعسكريّة. لم تكن غزّة غريبةً عنّا في يوم من الأيام، ومع ذلك فمن أول يوم للحرب على غزة في 7 أكتوبر 2023م (معركة طوفان الأقصى)، وضع الملك عبد الله الثاني غزّة نصب عينيه، وجعلها محطّ اهتمامه بشكل خاصّ، وأظهر تصميماً قويّاً على إيقاف الحرب، من خلال لقاءاته مع قادة دول كبرى، يمتلكون القرارات السياسيّة للضغط على الكيان الصهيونيّ؛ لإيقاف حربه الغاشمة الظالمة على أهلنا في غزّة.

وقد حرص جلالته على تقديم الدعم العاجل والرعاية الفوريّة، ففي حين سارعت كثير من الدول بإجلاء رعاياها، أمر جلالة الملك عبد الله الثاني بإرسال مستشفى ميدانيّ من الخدمات الطبّيّة الملكيّة إلى خان يونس في قطاع غزّة، يضمّ عدداً كبيراً من الخبرات والكفاءات، من الأطبّاء، والممرضين، والمهن الطبّيّة المساندة؛ ليكون هذا المستشفى صِنواً للمستشفى الميدانيّ الأردنيّ الأول في مدينة غزّة، الذي يقدّم خدماته المختلفة منذ 26 كانون ثاني 2009م.

لقد كانت الخدمات الطبّيّة تسابق الزمن؛ للوفاء بالاحتياجات المُلحّة لأهل القطاع، فلم تكن هذه المشاركة الأردنيّة مجرّد أرقام وإحصاءات، بل كانت تجسيداً للتكامل بين الرغبة في خدمة الإنسان، والحماية الشجاعة للحياة. كما أمر جلالته بإرسال مستشفى آخر لمدينة نابلس في الضفة الغربيّة، والذي باشر أعماله يوم الخميس 26 تشرين الثاني 2023م، وهذا هو ديدن الهاشميين، يقدّمون الخير ولا ينتظرون مقابلاً. ولم تقف النظرة الملكيّة عند توفير الرعاية الصحيّة فحسب، بل أسهمت أيضاً في توفير بيئة آمنة ومستديمة للمرضى والمصابين.

في هذا السياق، تبرز القوات المسلحة الأردنيّة الهاشميّة عنصراً أساسيّاً للدعم والثقة، إذ يُقدّم شبابها أرواحهم تضحيةً؛ من أجل خدمة وحماية المقدّسات والمقدرات الوطنيّة. إنّه ليس مجرّد كلام ينطق، ولا عبارات تُدوَّن، بل هي ترجمة عمليّة لما في قلوب الأردنيّين،

سمو الأمير الحسين بن عبدالله الثاني ولي العهد

وتظهر الخدمات الطبّيّة كحلّ متكامل لاحتياجات المرضى، من خلال إجراء العمليات الجراحيّة، وتوفير العلاجات والأدوية اللازمة، ونحن نستحضر المستشفى الأول في غزّة 2009م.

تنبثق من رحم التاريخ الأردنيّ لحظات يفوح منها عبير الفخر والتميّز، إذ نستحضر وصول ما يزيد عن خمسةَ عشرَ ألف جنديّ أردنيّ، بين طبيب، وممرّض، ومهن طبّيّة أخرى مساندة إلى غزّة؛ لتمثّل الروح الوطنية العليا. إنّ هذا الحدث الكبير يفوق الأرقام، ويُظهر بوضوح عمق التكامل بين روح الانتماء والتفاني الإنسانيّ في سبيل خدمة الإنسانيّة.

وفي وقتٍ محوريٍّ من الصراع، برزت الرّيادة الدبلوماسيّة لجلالة الملك كعامل فعّال في إيقاف هذه الحرب، من خلال توجيه الجهود الدبلوماسيّة والسياسيّة، وكعادته في الشدائد والصعاب، يظهر جلالته كأيقونة للقادة العظماء، فلم يكتفِ بالشجب والرفض والاستنكار. وفعلاً نجح جلالته في التأثير على المشهد في المجتمع الدوليّ، من خلال التفاوض والاقناع، وتسليط الضوء على حرب غزّة والقضية الفلسطينيّة ككلّ في المحافل الدوليّة، والدعوات الجادّة لإيجاد الحلول

السلميّة والعادلة، فاجتمعت الحكمة والحنكة السياسيّة مع الرؤية الإنسانيّة، ممّا يُجسّد مبدأ الالتزام الراسخ لجلالته بالسلام والاستقرار في المنطقة.

استطاع جلالته لفت الانتباه العالميّ برؤية إستراتيجيّة شاملة متكاملة، وتعزيز الدعم الدوليّ للفلسطينيين وحقوقهم المشروعة، وما كان هذا إلّا بفضل تفانيه وإصراره على إعادة الحقوق إلى أهلها، وهذا ليس بغريب على الهاشميين، فقد برزت مواقفه الدوليّة والعالميّة واضحةً جليّةً لدعم القضية الفلسطينيّة، والتزم بدعم الفلسطينيين في كلّ زمان ومكان، وبناء جسور التواصل والأمل، وتعزيز التضامن في كلّ وقت، وخاصة في أوقات الأزمات الحالكة.

إنَّ مواقف جلالة الملك عبد الله الثاني – حفظه الله – تحمل بصمةً إنسانيّةً عميقةً، فهي تشير إلى أنَّ القادة الحقيقيين هم العون للمظلومين والمحرومين. ولم تقتصر النظرة الملكيّة تجاه إخواننا في غزّة على تقديم الرعاية الصحيّة، والتمثيل في المحافل الدوليّة، بل كانت رؤية إنسانيّة شاملة، تعدّت ذلك إلى الدعم الاقتصاديّ والاجتماعيّ، فالقيادة الإنسانيّة للملك عبد الله الثاني بن الحسين تركّز على الدور الإنسانيّ المستمرّ لكافة جوانب الحياة الشاملة، فسلّط الضوء على المبادرات والبرامج الإنسانيّة الفعّالة.

ويشاركه في هذه النظرات الشموليّة سمو ولي العهد الأمير الحسين بن عبد الله الثاني حفظه الله، إذ أشرف سموه شخصيّاً على الطائرة التي حملت المساعدات الإنسانيّة والإغاثيّة لأشقائنا في غزّة، وقد بيّن سموه أنَّ المساعدات التي تُقدَّمُ هي تعبير عن شعور صادق من جميع الأردنيين تجاه إخوانهم في غزّة، كما ركّز على أنَّ استهداف المدنيّين وقطع مقوّمات الحياة من ماء، وكهرباء، ودواء، واتصالات، من الأمور غير المقبولة، ولا يجوز استخدام ذلك كورقة ضغط على أشقائنا في غزّة، وأنَّ الذي يجري من العدوان على قطاع غزّة يخرق كلّ المعايير الإنسانيّة والقوانين الدوليّة.

سمو الأمير الحسين بن عبدالله الثاني ولي العهد يشرف على عملية تجهيز وإرسال المستشفى الميداني الأردني الخاص/2 لجنوبي قطاع غزة

إنَّ موقف الأردن الشريف ممّا يجري في غزة، متمثّلاً بموقف جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين، وموقف سمو ولي العهد الأمير الحسين بن عبد الله، إنّما هو شعلة الأمل النابضة التي يفتخر بها الأردنيّون، والتي يتجلّى فيها نبل القيادة ومواقفها الراسخة، التي تتّسم بالقوة اللامتناهية، والحكمة العميقة في صدّ أيّ عدوان، مشيرين إلى الاستعداد الدائم للدفاع عن القضية الفلسطينيّة المركزيّة، والانتصار للمظلومين، ولا شكّ أنَّ استنارة قيادتنا الحكيمة نابعة من فهم عميق للمسؤوليات الإنسانيّة والأخلاقيّة والتاريخيّة.

وفي الختام، لا شكَّ أنَّ تضامن الشعب الأردنيّ مع قيادته يظهر واضحاً جليّاً، إذ يتّسم هذا التضامن بروح الوفاء والإخاء، والثبات على الموقف؛ ليُثبِتوا للعالم أجمع أنَّ القضية الفلسطينية لا تقتصر على حدود جغرافيّة، بل تمتدّ وتتسلّل إلى أعماق الوجدان والتاريخ، وأنَّ هذا الثبات إنّما هو إرادة وعزيمة لا تلين، مؤكّدة أنَّ الوحدة والتضامن تُشكّلان أساساً قويّاً وسدّاً منيعاً، أمام التّحدّيات التي من الممكن أن تعترض طريق العدالة والحريّة.

برج إيفل - باريس

مراسيل

أدبُ الشّبابِ العربيّ في باريس

آمال صالحي

برج إيفل - باريس

أدبُ الشّبابِ العربيّ في باريس

آمال صالحي

في قلب باريس، حيث يلتقي سحرُ الفنّ ورونق الثقافة، يتجلّى أدب الشباب العربيّ بلغةِ تعبيرٍ أدبيّةٍ مثيرة، باريس تتحوّل إلى مسرح لمغامرات الكُتّاب والمبدعين العرب، الذين يختالون في شوارعها الخلفيّة مُحمَّلين بأحلامهم وتجاربهم الحياتيّة، يتفاعلون بشغفٍ مع اللّمسات الفنيّة والمأثورات الثقافيّة الفريدة لهذه المدينة، حيث يلتقي التاريخ العريق بالحاضر المتوهِّج.

باريس – كمركزٍ للإبداع والفنّ – تجذبُ الأدباء العرب بأناقةٍ لا مثيل لها، مُتَحدّين التّحوّلات والتجارب الحياتيّة، يحملون أقلامهم كأدوات لنقل خيوط القصص والتجارب الشخصيّة إلى عالم لا ينام، حيث يختلط سحر اللغة العربيّة بعبق الفرنسيّة، كأنّما يرقصان معًا في سمفونيّة من التنوّع الثقافيّ.

رحلاتُ الإبداع في باريس لا تقتصر على أن تكون مُجرّد كتابة، بل هي رحلة في عمق الذات والهُويّة، يكتب الشباب العرب بلغة الأحلام والحوار الحميم مع النيل والفرات، وفي الوقت نفسه يرصدون اندماجهم مع ضوء باريس اللامتناهي، هنا يُكملون قصصهم بألوان المدينة الفنّيّة، حيث تتلاقى الثقافات وتتشابك الخيوط؛ لتخلق لوحةً أدبيّةً فريدةً.

في هذا السياق الاجتماعيّ المتنوّع، ينطلقون ليُعبّروا عن صراعات الهُويّة بين الشرق والغرب، تصبح أقلامهم فرشًا ترسم لوحةً تعبيريّةً تكاد تكون مثيرة للفضول، حيث يتأرجحون بين الماضي والحاضر، يتساءلون عن تأثير التقاء الثقافات، ويختبرون الغوص في أغوار الذات.

وكما يلتقي الليل بالنهار في أحضان باريس، يتداخل الشباب العربيّ في مجتمعها ببراعة، يجمعون بين اللغات والتجارب، ينقلون تفاصيل حياتهم وتحدّياتهم في لوحة أدبيّة مليئة بالألوان. باريس تُشكّلُ المسرح الذي ينسج فيه الشباب العرب قصصهم بكلّ رقّة وجرأة، حيث يحملون راية الإبداع في مهجرهم الثقافيّ بتألّق فرنسيّ.

يعكس أدب الشباب العربيّ في باريس تنوّعًا في مختلف أشكال الكتابة، سواء كانت روائيّة أو شعريّة أو قصصيّة، يتناول هؤلاء الكتّاب صراعات الهُويّة وتأثير التلاقي الثقافيّ بين الشرق والغرب، ما يُجسِّد مدى تأثير هذه التجارب على أفكارهم وتوجّهاتهم الإبداعيّة.

وبما أنَّ باريس تُشكِّلُ بيئةً ملهمةً تفيض بالتحفيز الفكريّ والحوار الثقافيّ، حيث يلتقي الشباب العربيّ لبناء جسور بين ثقافاتهم الأصليّة والواقع الثقافيّ الفرنسيّ، فإنَّ الرحلة في عالم أدب الشباب العربيّ في باريس مثيرة للتعرف على قصصهم ورحلاتهم الإبداعيّة في هذه الساحة الأدبيّة الساحرة، التي تحمل تاريخاً حافلاً بالفنّ والتّنوّع.

في متنوّع أدب الكُتّاب العرب في باريس، يتناول بعضهم تفاصيل التّحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، بينما يقوم آخرون بتسليط الضوء على آلام الغربة وجدليّة الانتماء، اللغة في هذا السياق الإبداعيّ تظهر كأداة فعّالة تعكس وتُعبّر عن غنى تلك التجارب، حيث يُتقن الكُتّاب خيوط اللغات الأصليّة ويمزجونها ببراعةٍ مع لغات جديدة، ما يُجسِّدُ تجاربهم بعمق، ويمنحها أبعادًا أكثر غنى وتعقيدًا.

تُظهر الأسبابُ والدوافعُ التي تعكس مشاعر الكُتّاب الشباب المهاجرين رغبتَهم في توثيق التجارب الشخصيّة، يستخدمون الأدب المهجريّ كوسيلة لتوثيق تجارب الهجرة، حيث يُعبّرون عن مشاعرهم وتحدّياتهم في بيئات جديدة، بالإضافة إلى الرغبة في الحفاظ على الهُويّة الثقافيّة. إنَّ أدب المهجر يلعب دورًا حيويًّا في الحفاظ على اللغة العربيّة بعد رحيل الكُتّاب عن أوطانهم، يُعزّز هذا الأدب استخدام اللغة العربيّة كوسيلة فعّالة للتعبير عن تجارب الهجرة وتحدّيات التأقلم.

يتفاعل الكُتّاب المهاجرون أيضًا مع التّحوّلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في المجتمعات التي يعيشون فيها، ويعكسون هذه التفاعلات في أعمالهم الأدبيّة، كما يسعون إلى تعزيز التواصل الثقافيّ، وتقوية الروابط بينهم وبين المجتمعات التي يعيشون فيها.

يُعبّر الشباب العربيّ أيضًا عن تجاربهم ومدى تكيّفهم مع الثقافة الجديدة، ويستخدمون الأدب كوسيلة للتعبير عن الهُويّة الجديدة التي تتشكّل في المهجر، إضافة إلى مساعدتهم في التغلّب على التّحدّيات النفسيّة للغربة والانفصال عن الوطن من خلال التعبير الإبداعيّ.

بشكل عامّ يتجلّى الأدب المهجريّ للشباب العربيّ في باريس وغيرها كوسيلة للتعبير عن التجارب والهُويّات المُعقّدة للأفراد الذين يعيشون بين حدود ثقافتين أو أكثر، كما يلعب دورًا هامًّا في تعزيز التفاهم الثقافيّ، وكسر الصور النمطيّة حول المهاجرين.

إنَّ إبداع الشباب العربيّ في المهجر يُشكّل جسرًا ثقافيًا يُعزّز التواصل بين الثقافات المختلفة، مُسهمًا في إثراء الخيوط الأدبيّة العالميّة، كما يُسهم في نقل القيم والتراث الثقافيّ العربيّ إلى الأجيال الجديدة في المجتمعات المهاجرة، ممّا يُتيح للشباب العربيّ الذي يعيش في بيئات غير عربيّة الاستمرار في استخدام وفهم اللغة العربيّة، من خلال قراءة الأعمال الأدبيّة التي تركّز على تجاربهم.

إنَّ أدب المهجر يُعَدُّ عنصرًا حيويًا في المحافظة على اللغة العربيّة، حيث يسهم في تعزيز قدرتها على التكيّف مع التحوّلات الثقافيّة والاجتماعيّة. الأدباء العرب الشباب في المهجر يمكن أن يكونوا جزءًا من أوطانهم، وفي الوقت نفسه يندمجون مع المجتمع الجديد، يتعاملون مع هذا التواجد المزدوج بطرق متنوّعة.

بعضهم يحاولون الحفاظ على روابطهم القويّة مع الثقافة والتاريخ العربيّين، من خلال إدماج عناصرهم في كتاباتهم، في حين يقوم بعضهم الآخر بالتأقلم مع المجتمع الجديد، ويُعبّرون عن تجاربهم في أوطانهم الجديدة.

تعتمد هذه العلاقة على عوامل متعدّدة، مثل تجارب الهجرة الشّخصيّة، ودرجة التواصل والانصهار مع المجتمع الجديد، ومدى حبّهم وانتمائهم لأوطانهم الأصليّة، الأمور قد تكون مُعقّدة وتختلف من فرد لآخر، لكن في النهاية، يمكن للأدباء العرب في المهجر أن يكونوا وسيطًا ثقافيًا يساهمون في التواصل بين الثقافات المختلفة، وفهم التحديات والفرص التي تترتّب على الهجرة.

تتأرجح أقلامهم بين لحظات التّحدّي وفترات الانتصار، يُسجّلون قصصاً متنوّعةً تراوح بين نشوة النجاح وشرف المحاولة في لوحة فنّيّة ممتدّة، يبنون كتاباتهم على لوح الورق بأسلوب يندلق بجمال اللغة، محاولين استحضار أصداء الثقافة العربيّة في أرجاء باريس المضيئة.

تمتزج رحلة الأدب العربيّ في هذا العالم الفنّيّ بلمسات ذكيّة تكسر حدود اللغة وتتجاوز الحدود الثقافيّة، يتغلغلون في لغة الشوارع الفرنسيّة، وفي نفس الوقت يسترسلون في رسم خيوط من العربيّة الشاعرة، تجعل من كلّ نصّ أدبيّ تحفة فنّيّة تحمل روح المشرق وعمق التجربة.

في هذا الاندماج الثقافيّ، تتجسّد روحانيّة الأقلام الشابّة العربيّة، حيث يبنون جسراً بين ماضيهم الثقيل بالتاريخ العريق وحاضرهم المتلألئ في عاصمة الفنّ والثقافة، هكذا يُتحفون القرّاء بتجربة فريدة، ترتقي بالأفكار وتنساب في عروق اللغة برهافة فائقة، ملهمين بجمالهم وتعدّديّة تجاربهم.

في باريس ينتسب الأدباء الشّبّان إلى فصل فنّيّ يحمل في طيّاته طيفاً من التحدّي والإبداع، هنا حيث ترقص الأحرف على أوتار اللغة، وتلتقي الأفكار في جنّة الفنّ، يحملون قصصهم وأحلامهم على أكتافهم، محاولين تشكيل مساراتهم بأسلوب مغاير.

في خِضمّ هذا الإبداع، يُشكّلون لأنفسهم جسرًا حضاريًا يعبر الأزقة الثقافية ويبني تواصلًا فنيًا بين المجتمعات، تأتي رواياتهم وشعرهم كموجة ثقافيّة تلامس شواطئ القرّاء الغربيّين، يفتحون أبواب الفهم لظواهر الهجرة وتنوّع الثقافات، يأخذون بأيدي القرّاء في رحلة مُشوّقة إلى عوالمهم الخاصّة، ملهمين الفضول ومشرّعين نوافذ جديدة على التفاعل الثقافيّ.

معهد العالم العربي - باريس

نهر الزرقاء - الأردن

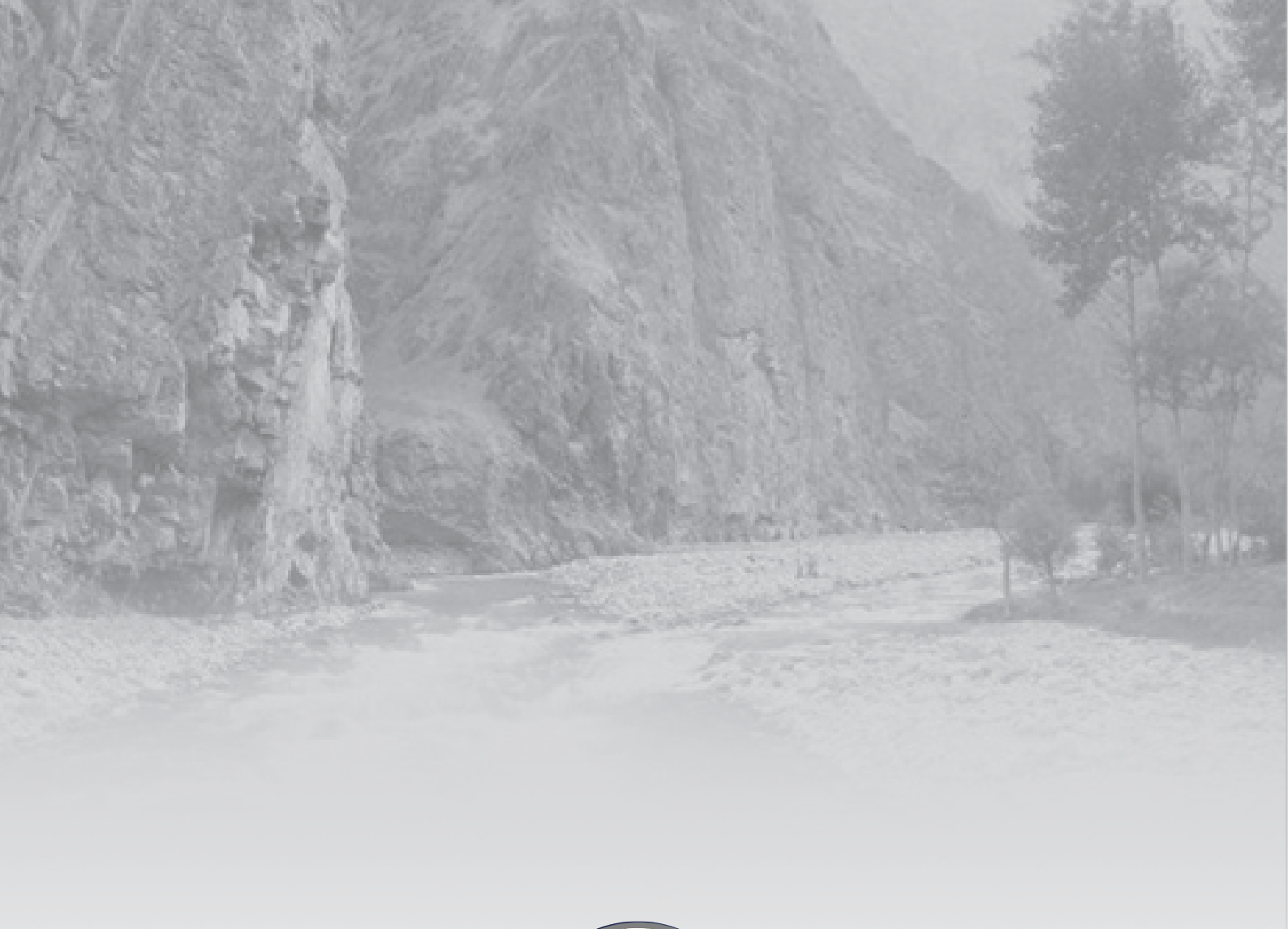

نقوش

نهرُ الزّرقاء

بيان أيمن صوفان

مدينة الزرقاء - الأردن

نهرُ الزّرقاء

بيان أيمن صوفان

الزرقاءُ سيفٌ على خاصرة الصحراء، مدينة الجند والعسكر، وعاصمة الأردن الاقتصاديّة، ومدينة الثقافة الأردنيّة عام2010، ومدينة سكّة حديد الحجاز، ومدينة قصر شبيب، وملتقى الحج الشاميّ، وَصِلة الوصل بين المدن الرومانيّة العشر، ومدينة التاريخ والتراث العابق بالغنى والتنوّع الثقافيّ والجماليّ، ومدينة الوحدة الوطنيّة والتعايش بين القوميّات.

تقع مدينة الزرقاء – التي تُعَدّ ثالث أكبر مدينة أردنيّة من حيث عدد السكان – شمال شرق العاصمة عمّان، بحوالي 20 كم، حيث تتداخل وتتصل مدن الزرقاء والرصيفة وعمّان؛ لتُشكّل تجمّعاً سكانيّاً ضخماً.

واشتهر نهر الزرقاء في الماضي باسم النهر الكبير، والنهر العظيم، أو نهر التماسيح، وسُمّيت الزرقاء بهذا الاسم نسبة إلى نهرها، الذي تحوّل منذ سنوات قريبة إلى سيل، بعد أن كان ثالث أكبر مجرى مائيّ في جنوب بلاد الشام، بعد نهر الأردن ونهر اليرموك، وتعود تسميته نسبة للون مياهه الزرقاء.

كما أنَّ الزرقاء كلمة أكاديّة، تتكوّن من مقطعين هما: «زار» وتعني مياه، و«كي» وتعني منطقة، فصار معنى اسمها (منطقة مياه)، ثم دخلت الكلمة في تحويرات، حوّلتها من (زار – كي) إلى (زارقي)، ثم إلى (زارقا)، ثم إلى (الزرقاء).

وتقول وزارة البيئة الأردنيّة إنَّ حوض نهر الزرقاء يُعَدّ من أهمّ الأحواض المائيّة في الأردن، وتبلغ مساحته الإجمالية (3150) كم2، ويتألّف من ثلاثة أحواض فرعيّة: هي: حوض الضليل، وتبلغ مساحته (1732) كم مربع، منها (147) كم2 ضمن الأراضي الأردنيّة، ثم حوض عمان – الزرقاء، وتبلغ مساحته (600) كم2، ثم الحوض السفليّ، وتبلغ مساحته (825) كم2، ويمتاز بنشاط زراعيّ واسع.

أمّا مجرى نهر الزرقاء، فيبدأ من رأس العين في عمان، وينتهي في سدّ الملك طلال في جرش، ويبلغ طوله حوالي 73 كم، وتكثر على جانبيه النشاطات التنمويّة المختلفة، الصناعيّة والتجاريّة والزراعيّة، بالإضافة إلى التجمّعات السكانيّة، ممّا نتج عن ذلك استغلال جائر للمياه، حيث تردَّت نوعيّة المياه الجوفيّة والسطحيّة؛ نتيجة استنزاف الخزّانات الجوفيّة للأغراض المنزليّة والزراعيّة والصناعيّة، فتجاوزت كميّات الاستخراج للمياه الجوفيّة الحدود الآمنة بكثير، ممّا أدّى إلى تلوّث المياه الجوفيّة وتملّحها (ارتفاع نسبة الملوحة)، وهبوط في منسوبها، خاصة في منطقة الزرقاء.

وكان مجمل متوسّط تصريف الينابيع الواقعة في حوض نهر الزرقاء قبل تأثّرها بنشاطات استخراج المياه الجوفيّة حوالي (5000) متر مكعب بالساعة، لكنَّ معظمها جفّ، أو تدنّى معدّل تصريفها من المياه حاليّاً؛ وذلك بسبب زيادة عدد الآبار المحفورة في هذا الحوض.

وتقول وزارة البيئة: إنَّ سيل الزرقاء يتألّف من ثلاثة فروع:

الفرع الأول: مجرى سيل الزرقاء ابتداء من رأس العين في عمان، وانتهاء بجسر حسيا، حيث يبلغ طول هذا الفرع الرئيسي 40 كم تقريباً، ويتغذى السيل من مياه الأمطار الموسميّة، وبعض النزازات والينابيع التي تتغذّى شتاءً، وتتدفّق منها المياه في السيل، ويجفّ معظمها صيفاً، وتختلط مياه السيل في هذا الجزء بمياه الصرف الصحّيّ؛ نتيجة فيضان المياه العادمة.

الفرع الثاني: مجرى سيل وادي الضليل، ابتداء من مخرج محطّة الخربة السمراء، وانتهاء بجسر حسيا، حيث تتدفّق في هذا الفرع الرئيس المياه المُعالَجة الخارجة من محطّة الخربة السمراء، ويبلغ طول هذا الفرع 10 كم تقريباً.

الفرع الثالث: مجرى سيل الزرقاء الذي تنساب فيه المياه المختلطة، ابتداء من جسر حسيّا، وانتهاء بسدّ الملك طلال، حيث يبلغ طول هذا الفرع الرئيسيّ 30 كم تقريباً، ابتداء من مخرج المياه العادمة من محطّة الخربة السمراء، وانتهاء بسدّ الملك طلال.

وتقدّر وزارة البيئة مساحة الأراضي المحيطة بفروع السّيل ضمن حدود محافظة الزرقاء، في حدود (10,000) عشرة آلاف دونم، مزروع منها (4,950) أربعة آلاف وتسعمئة وخمسون دونماً تقريباً، أي ما يعادل 50% من مساحة الأراضي الزراعيّة المحيطة بالسّيل، ويبلغ عدد المزارعين على جوانب سيل الزرقاء حوالي مئة مزارع.

وبعد أن كان مجرى هذا النهر مقصداً للسّيّاح والمُصطافين، والمُتخصّصين بصيد أسماكه، أو السباحة في مائه، فقد صار في السنوات الأخيرة يعاني من فيضان المياه العادمة من خطوط

نهر الزرقاء - الأردن

الصـرف الصّحّـيّ؛ بسـبب مـرور خطـوط الصـرف في مجـرى السّـيل، ثم طـول مجـرى السّـيل، وعـدم اسـتمراريّة جريـان الميـاه فيـه، وعـدم انتظـام عـرض المجـرى، وتواجـد الأنشـطة التنمويّـة المختلفـة، وتداخلهـا على جانبـي السّـيل بشـكل عشـوائيّ، ثم طـرح النفايـات المختلفـة في مجـرى السّـيل.

وقـد قامـت أمانـة عمـان الكبـرى بسـقف جـزء مـن السـيل قبـل وصولـه للزرقـاء، آخـذةً بعـين الاعتبـار أنَّ لعمليّـة سـقفه إيجابيّـات وسـلبيّات، فالإيجابيّـات هـي: ربـط أجـزاء المدينـة المنفصلـة بعضهـا ببعض، ممّـا يُسـهّل حركة المواطنين، ويختصـر المسـافات، ويوفّـر الوقـت والجهـد، وتقليـل نسـبة الفاقـد مـن ميـاه السّـيل جـرّاء عمليّـات التبخّـر، والحيلولـة دون التجـاوز علـى مجـرى السّـيل مـن قبـل بعـض المواطنـين، كعمليـات غسـيل السـيارات، أو إلقـاء النفايـات المنزليّـة بأنواعهـا، وتوفيـر مسـاحات جديـدة ناتجـة عـن سـقف أجـزاء مـن السّـيل، يمكـن اسـتغلالها لأغـراض اسـتثماريّة تعـود بالنفـع علـى المجتمعـات المحلّيّـة، وتوفّـر مصـادر دخـل للبلديّـة.

أمّـا سـلبيّات عمليّـة سـقف السـيل، فيمكـن إجمالهـا بـفقدان أجـزاء مـن النظـام البيئـيّ لحـوض نهـر الزرقـاء، لعمودهـا الفقـريّ، وهـو المـاء العـذب الجـاري، ومـا ينتـج عـن ذلـك مـن تغيّـر جـذري في مكوّناتـه، وخصوصـاً التنـوّع الحيـويّ بنوعيـه النباتـيّ والحيوانـيّ، وصعوبـة إجـراء الصيانـة اللازمـة لخطـوط الصّـرف الصّحّـيّ المارّة في مجـرى السّـيل، أو حتـى تحديـث هـذه الخطـوط في المناطـق المسـقوفة، وحرمـان المناطـق الزراعيّـة علـى جانبـي مجـرى السّـيل المحاذيـة للمناطـق المسـقوفة مـن الـرّيّ مـن ميـاه السّـيل، والمسـاعدة في إبـراز مظهـر التّصحّـر، واختفـاء اللـون الأخضـر مـن جوانـب السّـيل في المناطـق المسـقوفة.

وهنالـك إجـراءات مـن وجهـة نظـر وزارة البيئـة ضروريّـة للمحافظـة علـى نظافـة سـيل الزرقـاء، هـي: إعـادة النظـر في المنهجيّـة المُتّبعـة لإدارة مجـرى السّـيل، واسـتعمالات الأراضـي حولـه؛ لتصبـح مبنيّـةً علـى مبـادئ الإدارة المتكاملـة للنظـم البيئيّـة والمـوارد المائيّـة بأبعادهـا البيئيّـة والاقتصاديّـة والاجتماعيّـة، مـع مـا تحتاجـه مـن ترتيبـات مؤسّسـيّة وقانونيّـة تضمـن التعامـل مـع حـوض الزرقـاء كوحـدة بيئيّـة متّصلـة، ودعمهـا بالآليّـات اللازمـة والفعّالـة للإلـزام والمتابعـة والتقييـم، ومتابعـة أعمـال الصيانـة وبشـكل دوريّ لمناهـل وخطـوط الصّـرف الصّحّـيّ الواقعـة في المناطـق القريبـة مـن سـيل الزرقـاء.

وذلك للحيلولة دون تسرّب المياه العادمة منها إلى مجرى السيل؛ بسبب ما تتعرّض له هذه المناهل من اعتداءات وسوء استعمال، وضرورة وضع مواصفة لنوعيّة مياه الرّيّ، وتكثيف الرقابة على المزارعين على جانبي سيل الزرقاء، ومنعهم من ريّ مزروعاتهم بمياه الصّرف الصّحّيّ غير المُعالَجة عند وجودها، وتشديد الرقابة على النشاطات الصناعيّة وغيرها، القريبة من مجرى السيل، ومنعها من طرح نفاياتها السّائلة والصّلبة في مجرى السّيل، ومتابعة تجريف السّيل وتهذيبه، وإزالة الأوساخ والنفايات بشكل دوريّ، وتشجيع حملات النّظافة العامّة في هذا الإطار، وترحيل معامل الطوب الواقعة على جوانب سيل الزرقاء إلى المناطق البديلة.

ومنع طرح كافة أنواع النفايات المختلفة في مجرى السيل أو على جانبيه، وذلك بتثبيت اللافتات التحذيريّة على جانبي السّيل، وتكثيف الرقابة بهذا الخصوص، والبدء بتنفيذ دراسة شاملة للأوضاع البيئيّة للآبار المنتشرة على مجرى جانبي السّيل بفروعه الثلاثة، وتشديد الرقابة على النشاطات الصناعيّة، ومحطّات غسيل السيارات وتشحيمها، والتخلّص بيئياً من مُخلَّفات غسيل محطّات غسيل السيارات وتشحيمها، ومخلّفات النشاطات الحرفيّة الواقعة على جوانب مجرى السيل، وذلك بتخصيص موقع ملائم للتخلّص من هذه المخلّفات لحين إيجاد حلّ جذريّ لها، ووضع النظم الزراعيّة الملائمة على ضوء نوعيّة المياه الجارية في سيل الزرقاء، ودراسة مدى إمكانيّة الاستفادة من مياه محطّة الخربة السمراء في استصلاح الأراضي الشرقيّة القاحلة وشبه القاحلة.

وفي الختام عندما جاء بنو هلال للزرقاء، كما تقول تغريبتهم، شربوا ماء نهر الزرقاء، وخاضوا معارك ضخمة انتصروا فيها على حاكم المدينة المشهور في عبق التاريخ باسم «شبيب التبعي»، وفي زماننا يقوم هذا النهر عند فيضانه في فصل الشتاء بجرف كلّ ما في طريقه من العاصمة عمّان، ويمرّ بها من الزرقاء، حتى يصبّ في نهر الأردن، وللأسف جرف السيل في بعض حوادثه أطفالاً ورجالاً، وتمّ العثور على جثامينهم بعد بحث مستفيض في سدّ الملك طلال.

نهر الزرقاء - الأردن

نهر الزرقاء - الأردن

للفنانة سلين الضمور/ الأردن

للفنانة ملك الشوابكة/ الأردن

صوت الجيل 23

العدد 23 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

مطبعة المركز الجغرافي الأردني للطباعة الفنية